الملك نبوخذنصر الثاني

د. فوزي رشيد



الموسوعة الذهبية

٤

الملك نبوخذ نصر الثاني

حياته وانجازاته

الدكتور فوزي رشيد

فريق التوثيق الألكتروني



الملك نبوخذ نصر الثاني
د. فوزي رشيد
الطبعة الاولى ١٩٩١

الناشر وزارة الثقافة والاعلام **دار ثقافة الاطفال**
العراق. بغداد بريد ٨ شباط
ص. ب ٨٠٤١

الموسوعة الذهبية

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير التحرير: فاروق يوسف

الملك
نبوخذ نصر الثاني

المقدمة

على الـرغم من الشهـرة الكبـيرة التي يتمتع بها الملك نبوخذ نصر الثاني ، الا ان كتابات اليهود قد اساءت الى سمعته كثيرا ، وذلك بسبب تهجيره لعدد من سكان مملكة يهوذا واسكانهم في المناطق المحيطة بمدينة بابل .

ومن صفحات هذا الكتاب سيجد القاريء ان الملك نبوخذ نصر لم يكن معاديا لليهود بسبب ايمانهم بدين غير الذي يؤمن به ، ولكن الموقع الجغـرافي لمملكـة يهوذا انذاك هو الذي فرض على الملك نبوخذ نصر السياسة التي نفذها مع سكان المملكة المذكورة ، لان هذه المملكة كما يؤكد ذلك الواقع ، كانت دولة حدودية مع بلاد وادي النيل ، ولذلك كان المصريون يثيرون الفتن والاضـطرابات ضد الملك نبوخذ نصر ، كي لايحصل على الفرصة المناسبة للهجوم على مصر من خلال مملكة يهوذا . والكتابات المسمارية واليهودية نفسها تؤكد هذه الحقيقة ، ولذلك ما كان امام الملك نبوخذ نصر الا ان يقلم اظافر هذه الدويلة لكي ينصرف الى الاعمال السلمية كالبناء والتجارة ، ولو كان اي من اليهود الذين اساءوا الى سمعة الملك نبوخذ نصر ، مكانه لفعل مع مملكة يهوذا ما فعله الملك المـذكـور ، لان انجـازات هذا الملك العمرانية تؤكد انه كان ميالا الى الاعمار اكثر من ميله الى الحروب ، حيث ان انجازاته البنائية في مدينة بابل وفي غيرها من مدن الدولة الكلدية تشهد على ذلك ، وتشهد على انه كان معمارا من الطراز الاول ، لان بعض انجازاته العمرانية تكاد تكون الفريدة في نوعها ، لان الثلاجة التي امر ببنائها في قصره الجنوبي ووضع الجنائن المعلقة فوقها لحماية سطحها العلوي من حرارة الشمس ، لم نجد ما يماثلهـا على الاطـلاق ، لان اعمال اسنيب المختلفة قد ارتنا بعض

الابنية التي توحي انها كانت مخازن خاصة بالثلج فقط، بينما ثلاجة الملك نبوخذ نصر تحتوي على مخزن خاص لحفظ الثلج مع عدد من الغرف المختلفة الحجوم تحيط بمخزن الثلج، وذلك لغرض خزن المواد التي يحتاج خزنها الى جو بارد.

وفضلا عما تقدم فان الملك نبوخذ نصر يعتبر باني اكبر واعلى برج مدرج عرفه العراق القديم، مضافا الى ذلك انه قد بناه وفق النسب البابلية المثالية، بحيث جعل ارتفاع برج بابل مساويا لطول قاعدته.

وهذه النسب التي استخدمها الملك نبوخذ نصر في بناء برج بابل قد اخذها اليونانيون ونسبوها الى انفسهم. وعن اليونانيين اخذها الفنان الايطالي ليوناردو دافنشي وبنى عليها نسبه الذهبية، التي اعتمد عليها فنانو عصر النهضة الاوربية الذين كانوا يبحثون عن اسرار التكامل بين اعضاء الجسم البشري في نتاجاتهم الفنية.

ان ذوق هذا الملك الرفيع في فن العمارة قد مكنه من ان يجعل من بابل من اكبر مدن الدنيا القديمة، بحيث قال عنها المؤرخ اليوناني هيرودوتس: انها مدينة لاتضاهيها في عظمتها وسعتها مدينة اخرى.

والحقيقة ان مايكفي الملك نبوخذ نصر مخراً هو اعتبار اسوار وجنائن بابل المعلقة من عجائب الدنيا السبع.

وفي الختام ارجو ان اكون موفقا في تقديم الصورة الواضحة التي تعكس حياة وانجازات هذا الملك العظيم والله ولي التوفيق.

الدكتور فوزي رشيد

الكلديون

الكلديون هم فرع من الارامين، الـذين يرجعـون بأصلهم الى الجـاعات البدوية التي كانت تتنقل في بوادي الجزيرة الشمالية. ومنذ بداية الالف الثـاني قبـل الميلاد بدأت مجمـوعات منهم بالاستيطان تدريجيا في مناطق تقع على نهر الفرات في سوريا والعراق. وفي منتصف الالف الثـاني قبل الميلاد تم استيطانهم في المناطق الواقعة حوالي نهر الفرات والتي تقع حاليا داخل الاراضي السورية، وفي هذه المناطق نمت لغتهم وقـوميتهم وثقـافتهم، التي تأثـرت بالثقافة الامورية والكنعانية وبـالحضـارات التي جاوروهـا ولاسيما حضـارة بلاد وادي الـرافـدين والحضارة الحثية.

وفيما يخص اسم الارامين فان اقدم ذكر له قد ظهر في عهد الملك الاشوري تجلا تبليزر الاول في حدود ١١٠٠ ق.م. وكان الارميون مكونين من جملة قبائل وعشائر عرفنا اسماء بعضها من الكتابات الملكية الاشورية ومن خلال الرسائل المدونة باللغة البابلية والتي عثر عليها في

تل العمرنة، الذي يحتوي على بقايا عاصمة الفرعون المصري الملقب باخناتون ١٣٦١ ـ ١٣٠٨ ق.م، حيث ورد في هذه الكتابات والرسائل اسم جماعة منهم بصيغة «اخلامو»، التي تعني الرفاق.

ومن الارامين فرع وصـل الى وادي الفـرات الاسفـل واستقـر في الاجـزاء التي تقع الى الجنوب من مدينة بابل، وهذا الفرع عرف في الكتابات الاشورية بأسم «كلدو» هذا ويبدو من كتابات الملك الاشوري شلمنصر الثالث ٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م، ان الكلديين كانوا يعيشون على هيئة عشائر مختلفة يطلق على كل واحدة منها لفظة «بيت» وتسمى باسم

كل شيخ من شيوخها.

ومن اسماء هذه العشائر او المشيخات الكلدية التي وردت في كتابات الملك شلمنصر الثالث هي «بيت داكوري»، «بيت اموكاني» و«بيت ياكين» وفضلا عن هذه العشائر الثلاث هناك عشائر اخرى يبدو انها كانت صغيرة لأنها لم تلعب دورا سياسيا بارزا كما لعبته العشائر الثلاث التي مر ذكرها، واسماء هذه العشائر الصغيرة هي «بيت شئالي»، «بيت شيلاني» و«بيت اديني».

والسبب الذي دعا هذه العشائر الكلدية لان تسكن في باديء امرها المناطق الواقعة جنوب مدينة بابل وحتى سواحل الخليج العربي يرجع الى ان تلك المناطق كانت تعاني من شحة في محصول الشعير بحيث ماكانت تطمع بها مراكز القوى السياسية انذاك، فضلا عن ان سكانها ماكانوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم وعن اراضيهم، ولذلك سهل على الكلديين احتلال تلك المناطق والسكن فيها، والسبب الذي جعل الغذاء شحيحا في المناطق الواقعة الى الجنوب من بابل وحوالي منطقة الاهوار حتى سواحل الخليج العربي، لان هذه المناطق قد غزتها الملوحة وفقدت الكثير من خصوبتها، وهذا ماكدت عليه النصوص المسمارية والدراسات التي اجريت بهذا الخصوص، حيث اثبتت هذه الدراسات ان تربة القسم الجنوبي من العراق خلال منتصف الالف الرابع قبل الميلاد كانت خالية من الملوحة تماما ولذلك فان زراعة الحنطة خلال التأريخ المذكور كانت مساوية تماما لزراعة الشعير، ولكن النصوص الاقتصادية التي جاءتنا من زمن الملك اينتمينا ٢٤٣٠ ـ ٢٤٠٠ق.م الملك الرابع من ملوك سلالة لكش الاولى ٢٥٢٠ ـ ٢٣٥٥ ق.م، قد اكدت ان كمية الحنطة المزروعة قد تقلصت واصبحت تساوي سدس محصول الحبوب.

وهذه في الواقع اشارة واضحة الى ان نسبة الملوحة في تربة القسم الجنوبي من العراق قد ارتفعت عاليا وبشكل سريع بحيث اثرت على زراعة

الحنطة التي لاتتحمل بطبعها الملوحة. والسبب في هذه الزيادة السريعة بالملوحة في زمن الملك اينتمينا يرجع حسب المعلومات المتوفرة الى النزاعات المستمرة التي حدثت بين سلالتي لكش واومّا ٢٥٠٠ - ٢٣٥٥ ق.م، حيث ان مدينتي لكش واومّا كانتا واقعتين على مجرى مائي يتفرع من نهر الفرات وقد استمرت هذه النزاعات بينهما سنين عديدة من اجل الاستيلاء على منطقة حدودية خصبة تسمى «كوايدنّا»، وقد تمكنت سلالة لكش في عهد ملكها اينتمينا من السيطرة على هذه المنطقة الحدودية لفترة مؤقتة، لأنها لم تتمكن من منع سلالة اومّا الواقعة في اعالي المجرى المائي من وضع العراقيل امام القنوات الفرعية التي كانت تسقي الحقول الحدودية، ولذلك اقدم الملك اينتمينا على شق قناة من نهر دجلة وحتى المنطقة الحدودية التي مر ذكرها من اجل ايصال الماء الكافي لزراعتها.

ونهر الغراف الحالي يمثل القناة التي حفرها الملك اينتمينا والتي سميت في المصادر المسمارية بقناة دجلة. وبعد ان بدأت هذه القناة بتجهيز المنطقة بكميات كبيرة من المياه اضافة الى الكميات التي كانت تجهز من قبل نهر الفرات، فقد ادى ذلك الى ارتفاع في مستوى المياه الجوفية. وما دامت المياه الجوفية ذات امكانيات محدودة في تصريف الملوحة بسبب بطء حركتها، لذلك اصبحت مستودعا لها، ولهذا فان ارتفاع مستوى المياه الجوفية قد ادى الى صعود الملوحة بفعل الخاصية الشعرية الى سطح التربة، ولذلك لاحظنا الهبوط الواضح في نسبة زراعة الحنطة منذ فترة حكم الملك اينتمينا. ومما لاشك فيه ان زيادة الملوحة التدريجية وخاصة منذ فترة حكم الملك المذكور قد اخذت تؤثر بشكل ملحوظ على النسبة المئوية لزراعة الحنطة في القسم الجنوبي من العراق، حيث ان نسبتها اصبحت تساوي ٢٪ من المحصول في عام ٢١٠٠ ق.م. وفي عام ١٧٠٠ ق.م ترك السكان زراعة الحنطة بصورة نهائية في القسم الجنوبي من العراق.

والحقيقة ان مشكلة الملوحة التي برزت بسبب ارتفاع مستوى المياه الجوفية لم تؤثر على زراعة الحنطة فقط بل ادت الى فقدان تربة تلك السهول الغربية لخصوبتها تدريجياً، حيث ان دراسة النصوص المسمارية قد بينت لنا ان الانتاج الزراعي قد تركز منذ عام ٢٤٠٠ ق. م على زراعة الشعير لقدرته على تحمل ملوحة التربة. ومما يؤكد هذه الحقيقة هي النصوص الاقتصادية التي جاءتنا من مختلف الفترات القديمة، حيث جعلت هذه النصوص من الشعير المادة الاساسية للمقايضة ولم تتطرق الى ذكر الحنطة الا في الحالات النادرة جدا.

والشعير كما هو معروف يستهلك كثيرا من خصوبة التربة، ولذلك دلت الاحصائيات الخاصة بزراعة الشعير على ان القدرة الانتاجية خلال فترة حكم الملك اينتمينا ٢٤٣٠ ـ ٢٤٠٠ ق. م قد بلغت ٢٥٣٧ لترا لكل هيكتار (=١٠٠٠٠م٢) من الارض.

وهذا الرقم في الواقع يعتبر معدلا عاليا نسبيا حتى بالنسبة لمعدل الانتاج الذي تحققه كل من الولايات المتحدة الامريكية وكندا في الوقت الحاضر، الا ان هذا المعدل قد هبط عام ٢١٠٠ ق. م الى ١٤٠٠ لتر لكل هيكتار وذلك بسبب تناقص خصوبة التربة. وفي عام ١٧٠٠ ق. م انخفضت القدرة الانتاجية الى درجة كبيرة بحيث بلغت ٨٩٧ لترا لكل هيكتار.

وبسبب هذا التناقص في خصوبة التربة ومعدل انتاج الشعير فقد تزعزعت مراكز السلطة السياسية في القسم الجنوبي من العراق، بحيث أنها اضطرت الى النزوح شمالا، ولذلك اصبحت مدينة بابل منذ عام ١٨٠٠ق. م مركزا لها بعد ان كانت مدينة اريدو واور والوركاء مراكز مهمة للسلطة السياسية قبل هذا التأريخ، ولهذا السبب بالذات سميت السلالة التي اقامها الاموريون في مدينة بابل بسلالة بابل الاولى، لان مدينة بابل لم تكن من قبل مركزا لسلالة حاكمة.

وبناء على ماتقدم فان القسم الجنوبي من العراق كاد ان يهجره السكان

بسبب تناقص معدل انتاج الشعير المستمر، الا ان الاجراء الذي انقذ الجنوب من محنته واعاد له الحياة هو قيام سكانه منذ اواخر القرن الثامن قبل الميلاد بزراعة الرز (= الشلب) الذي انتشرت زراعته بصورة واسعة خلال القرن السادس قبل الميلاد والرز يلفظ باللغة السومرية «شي ـ لي ـ اب» و«شي» تعني شعير و«لي» تعني المشتول و«آب» تعني الماء، بهذا يكون معنى الاسم سومريا «الشعير المشتول في الماء».. وان دلت هذه التسمية على شيء فأنها تدل على اصالتها العراقية، ولذلك فان كلمة «شلب» الحالية لابد وانها آتية من التسمية السومرية «شي ـ لي ـ آب» هذا وان انحسار زراعة الشعير واتساع زراعة الشلب في القسم الجنوبي من العراق قد دفع السكان الى عمل الخبز من الشلب ايضا، وخير شاهد بخصوص هذا الموضوع هو «الطابك» او «السياح»، حيث انه يشبه الخبز ولكنه مصنوع من مادة الشلب. والمعروف عن الرز هو ان زراعته قد بدأت في الصين في حدود ٣٠٠٠ق.م وان اقدم اشارة الى زراعته في الصين قد جاءت من زمن الامبراطور الصيني «جن ـ نونك ـ CHIN) ، NUNG)

اي في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد، والاحتمال كبير على ان كلمة «رز» ذات اصل صيني.

مما تقدم يبدو واضحا السبب الذي دعا السلالات التي جعلت من مدينة بابل مركزا لها من بعد سقوط الكشيين في حدود ١٢٠٠ ق.م، الى عدم اكتراثها لسكنى عدد من القبائل الارامية (=الكلدية) المناطق الجنوبية من العراق وبالاخص المناطق المجاورة للاهوار القريبة من البحر، لان هذه المناطق لم تعد تصلح لان تكون مركزا لاية سلطة سياسية وذلك لعدم امكانيتها توفير فائض في الانتاج الزراعي يسد حاجة الجيش وحاجة الحكومات في فترات الحرب والحصار، ولذلك استقر الاراميون (=الكلديون) في المناطق المذكورة طيلة فترة حكم السلالات التي

حكمت في بابل ١٠٢٥ ـ ٦٢٥ ق.م من بعد سلالة بابل الرابعة ١١٥٧ ـ ١٠٢٦ ق.م، الذي دام حوالي اربعمائة سنة.

وشحة الغذاء في مناطق سكناهم لم يساعد اية عشيرة من عشائرهم لتسيطر على المنطقة بكاملها لتكون الدولة الموحدة الخاصة بالكلديين، ولذلك بقوا على النظام العشائري منذ دخولهم الأقسام الجنوبية من العراق في حدود اواخر الالف الثاني قبل الميلاد وحتى تكوينهم الدولة الكلدية في عام ٦٢٦ ق.م وهذه المدة الطويلة التي عاشها الكلديون في الاقسام الجنوبية من العراق هي التي مكنتهم من الانصهار كليا مع معتقدات وعادات وتقاليد العراق القديم.

ومن خلال كتابات الملك الاشوري شمشي ادد الخامس ٨٢٣ ـ ٨١١ ق.م يبدو واضحا ان العشائر الكلدية قد دخلت في حلف مع الملك البابلي «مردوك بلاصواقبي» ٨١٨ ـ ٨١٣ ق.م ومع عيلام وعدد من القبائل الارامية التي كانت تسكن المناطق الشرقية من نهر دجلة، ولكن قوة الاشوريين انذاك وضعف السلالات والتشكيلات السياسية الاخرى في القسم الجنوبي من العراق عموما كان ذلك سببا في نجاح الملك شمشي ادد الخامس في القضاء على هذا الحلف عام ٨١٣ ق.م واسر الحاكم البابلي.

ومن بعد هذا التأريخ حلت في اشور وبالاخص من بعد حكم الملك الاشوري توكلتي ننورتا الثالث ٨١٠ ـ ٧٨٣ ق.م فترة ضعف سياسي امتدت ما بين عام ٧٨٢ و٧٤٥ ق.م، مما ساعد ذلك الكلديين لان يستحوذوا على السلطة في بابل. واول ملك كلدي تولى عرش بابل هو «مردوك ـ ابلا ـ اوصر» ولكننا نجهل عدد سني حكمه، وجاء من بعده ملك كلدي اخر يدعى «اريبا ـ مردوك» وهو ينتسب الى عشيرة «بيت باكين».

ومن الكلديين الذين تركوا اثرا بارزا في تاريخ العراق القديم هو «مردوك ابلا ايدينا» (= مردوخ بلادان) احد ملوك بلاد البحر، اي منطقة الاهوار

وسـواحـل الخليج العربي، الذي ثار على الاشوريين وامتنع عن دفع الجزية لهم وذلك بتحريض ومساعدة عيلام له، واعتلى عرش بابل عام ٧٢١ ق.م، اي في السنة التي تولى فيها الملك سرجون الثاني حكم الدولة الاشورية، ولذلك امر الملك سرجون بأخماد ثورة «مردوك ـ ابلا ـ ايدينا» والانتقام من عيلام المحرضة لها، فأرسل حملة حاول من خلالها احتلال عيلام اولا ومن ثم اخماد ثورة «مردوك ـ ابلا ـ ايدينا» في بابل.

وعلى مايبدو ان جيش الملك سرجون الثاني، الذي التقى بجيش عيلام عند مدينة الدير قرب بدرة لم يحقق النتيجة المطلوبة، وذلك لانشغاله باخماد الثورات التي اندلعت في سوريا كذلك، ولهذا تمكن مردوك ـ ابلا ـ ايدينا ان يحتفظ باستقلاله في بابل مدة عشر سنوات، حتى جاءه الملك سرجون الاشوري ثانية وتمكن من القضاء على ثورته، اما مردوك ـ ابلا ـ ايدينا نفسه فقد هرب الى منطقة الاهوار.

وعنـدمـا تسلم الملك سنحاريب ٧٠٤ ـ ٦٨١ ق.م مقاليد الحكم في اشور، اعاد مردوك ـ ابلا ـ ايدينا (=مردوخ بلادان) ثورته ضد السيادة الاشورية وبدعم من العيلاميين ايضا وتمكن من الاستقلال ثانية في بابل، ولكن الملك سنحاريب عاجله بحملة عام ٧٠٣ ق.م قضت على ثورته ولكنها لم تقض عليه، لانه تمكن من الهرب، ولذلك ظهر ثانية عام ٧٠٠ ق.م، ولكنـه لم يتمكن من تحقيق شيء يذكـر فادى ذلك بالملك سنحـاريب لان يصمم على تطهير الاجزاء الجنوبية من العراق التي ساندت الثورات الثلاث لمردوك ـ ابلا ـ ايدينا، فارسل لهذا الغرض جيشاً برياً ومجموعة من السفن سيرها في نهر الفرات، وقد تم اللقاء بين الجيش الـبري والسفن في المـدينة المسماة «باب ساليميتي» القريبة من مصب الفرات بالخليج العربي، ثم قام الملك سنحاريب باحتلال المدن العيلامية الساحلية.

الدولة الكلدية

١ـ نابو بولاصر

على الرغم مما فعله الملوك الاشوريون بمحاولات الكلديين للسيطرة على مدينة بابل، فقد تمكن الملك الكلدي نابو بولاصر ٦٢٦ ـ ٦٠٥ ق.م في اواخر ايام الملك الاشوري اشور بانيبال ٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق.م من اقامة الدولة الكلدية وسيطرته على كافة المدن الجنوبية وتثبيت مركزه في مدينة بابل، وقد مهد لذلك بتحالفه مع الميديين زمن ملكهم «كي اخسار» منذ ان كان معينا من قبل الملك اشور بانيبال حاكما على بابل، لان الملك نابوبولاصر ماكان يريد الاستقلال في بابل فقط بل القضاء على الدولة الاشورية نهائيا.

ومن اولى الأعمال التي قام بها الملك المذكور هي توجيه اهتمامه للسيطرة على سوريا وفلسطين لما لهذه المناطق من اهمية بالنسبة الى بلاد بابل، ولذلك سار الملك نابوبولاصر بجيشه بمحاذاة نهر الفرات باتجاه بلاد الشام والنصوص المسمارية ذات العلاقة قد اكدت لنا ان سكان منطقة سوخوم وسكان منطقة خندانو، الواقعتين في المنطقة المحصورة مابين مدينة هيث حتى التقاء الخابور بنهر الفرات لم يتعرضوا لجيش الملك نابو بولاصر، بل قاموا بتقديم الجزية له، والسبب في هذه السهولة التي سيطر بها الملك المذكور على هاتين المنطقتين راجع الى خلوها من القوات الاشورية، لان الاشوريين قد سحبوا قواتهم العسكرية من تلك المناطق وغيرها لغرض حماية مدنهم الرئيسية من هجوم الميديين المتوقع على بلاد اشور.

هذا وقد وصل الملك نابو بولاصر بتقدمه حتى مدينة «باليخو» الواقعة على نهر الباليخ جنوب حران، ومن ثم عاد الى مدينة بابل. وفي طريق عودته اخذ معه عددا من رجال مدينة خندانو وعددا من تماثيل آلهتها

اسرى الى بابل. ان النجاح الذي حققه الملك نابوبولاصر في سيطرته على مدن نهر الفرات دفع الاشوريين الى التحالف مع مصر. ونتيجة لذلك زحف جيش من المصريين والاشوريين للحاق بالملك نابوبولاصر وهو في طريق عودته الى مدينة بابل، ولكن هذا الجيش لم يتمكن من تحقيق هدفه، وبهذا يكون الملك نابوبولاصر قد ضمن طريق نهر الفرات الذي يمثل الممر الرئيس باتجاه سوريا وفلسطين.

وفي بداية عام ٦١٥ ق.م توجه الملك نابوبولاصر لاحتلال اشور ولكن هجومه كان فاشلا فاضطر الى التراجع الى مدينة تكريت وحماية جيشه في قلعتها. وعلى الرغم من محاصرة القوات الاشورية لقلعة تكريت، الا انها لم تتمكن من تحقيق اي نجاح يذكر. وبعد ان علم الميديون حلفاء نابوبولاصر بمحاولته لاسقاط الدولة الاشورية بمفرده، لذلك قرروا ان يقوموا بأنفسهم بهذه المهمة، فتقدموا نحو مدينة نينوى في نفس عام ٦١٥ ق.م، بعد ان مروا بمدينة اربخا (=كركوك الحالية)، وبعد محاصرتهم لمدينة نينوى لاقوا مقاومة عنيفة مما اضطرتهم الى التوجه نحو العاصمة القديمة اشور.

وفي هذه الاثناء اسرع الملك نابوبولاصر والتقى بالملك الميدي كي اخسار في موضع قريب من اشور وابرما الحلف بين بلاد بابل وبلاد ميدية.

وفي عام ٦١٢ ق.م تمكن الملك الميدي كي اخسار من اسقاط العاصمة نينوى، وعلى اثر ذلك انسحب الجيش الاشوري الذي كان بقيادة آخر الملوك الاشوريين المدعو «اشور - اوبلط» الى حران. وفي عام ٦١٠ ق.م تم القضاء على الملك اشور اوبلط وانتهت بذلك واحدة من اعاظم الامبراطوريات التي عرفها العالم القديم.

ويبدو من مجريات الاحداث التي اعقبت القضاء على اخر مقاومة للاشوريين ان الميديين لم يضموا بلاد اشور الى بلادهم بل أنهم اكتفوا

بالاسلاب والغنائم فانسحبوا الى بلادهم تاركين حليفهم الملك نابوبولاصر وشأنه ليقتطع ما يتمكن عليه من اقاليم الامبراطورية الاشورية.

وبناء على ماتقدم يمكننا ان نخمن بان الحلف الذي ابرم بين الملك نابوبولاصر والملك الميدي كي اخسار في موضع قرب اشور، قد اتفقا فيه على ان يقوم الميديون باحتلال العاصمة الاشورية والمدن الاخرى ليحصلوا على الغنائم والاسلاب ومن بعد ذلك عليهم ترك البلاد للكلديين. وهذا ماحصل فعلا حيث اتجه الملك نابوبولاصر من بعد سقوط الامبراطورية الاشورية وخروج الميديين من البلاد نحو الشمال الغربي فوصل حتى نصيبين، ومن بعدها عاد الى مدينة نينوى ومن ثم الى عاصمته بابل.

وفي ايلول من عام ٦٠٩ ق.م توجه الملك نابوبولاصر بمحاذاة نهر دجلة متوجها الى المنطقة الجبلية، حيث منطقة «بيت حانونيا» التي تقع ضمن منطقة النفوذ الاورارتيه، فقام باحتلالها ثم رجع الى عاصمته بابل. وفي السنة التالية قام الملك بحملة اخرى باتجاه المنطقة الجبلية واوكل مهمة قيادة الجيش الى ابنه نبوخذ نصر، ووصلا معاً الى المنطقة المذكورة ولكنهما لم يبقيا فيها مدة طويلة وعادا ثانية الى العاصمة بابل.

وهذه الحملات التي قام بها الملك نابوبولاصر من بعد سقوط الدولة الاشورية كان هدفها بالطبع فرض السيادة البابلية (= الكلدية) في المناطق التي كانت تحت نفوذ الاشوريين.

وفي عام ٦٠٦ ق.م تعرضت الحامية البابلية في مدينة «كيموخو» الواقعة على نهر الفرات جنوب مدينة كركميش الى هجوم مصري راح ضحيته كل رجال الحامية الذين حاولوا صد الهجوم المصري، ونتيجة لذلك توجه الملك نابوبولاصر نحو بلاد الشام لصد التقدم المصري، ولكن

محاولة الملك نابوبولاصر لم تؤدِ الى نتيجة حاسمة، ولذلك قام بارسال حملة عسكـرية ثانية وعين عليها ابنه نبوخذنصر، فاتجهت من بابل صوب مدينــة كركميش التي كانت مقـر قيادة الملك المصري «نيخـو الثاني» ٦١٠ ـ ٥٩٥ ق.م واشتبك الطرفان في معركة حامية انهزمت فيها قوات الملك المصري نيخو فتعقبها نبوخذنصر وجيشه الى مدينة حماة والحق بها هزيمة كبرى، بحيث لم يستطع اي رجل منهم الفرار الى بلاده على حد قول كاتب هذه المعلومات.

وبعـد نجـاح نبوخذنصر في مطاردة القوات المصرية، التي جاءت اصـلا لمسـاعـدة حلفائهم الاشوريين، وابعادهم عسكريا من المنطقة الحـدودية البابلية سيطر نبوخذنصر على سوريا كلها، وكانت الفرصة مواتية ايضا امامه للتقدم نحو بلاد وادي النيل، الا ان وصول اخبار وفاة والده نابوبولاصر استوجب ذلك حضوره سريعا الى مدينة بابل لحضور مراسيم دفن والده وتبوء عرش بابل.

وقبل نهاية حديثنا عن الملك نابوبولاصر، مؤسس الدولة الكلدية قد يتساءل البعض ويقول ان مناطق القسم الجنوبي كانت شحيحة الانتاج في زراعة الحبوب وحتى مدينة بابل زمن الدولة الكلدية، فكيف استطاع اذن الملك المـذكور من توفير الغذاء اللازم لجيشه وللكلدنيين عموما؟ للجواب على ذلك نقول اننا سبق وان ذكرنا بان زراعة الشلب (= الرز) قد دخلت القسم الجنوبي من العراق منذ اواخر القرن الثامن قبل الميلاد وانتشرت زراعته بصورة واسعة خلال القرن السادس قبل الميلاد، اي خلال الفـترة التي ظهـرت فيها الدولة الكلدية، وبذلك تكون زراعة الشلب (= الـرز) قد عوضت النقص الذي حدث في زراعة الشعير، وهذه الحقيقة قد اعادت التوازن الغذائي للمنطقة مما منح ذلك الكلديين الامكانية لان يظهروا على المسرح السياسي، بحيث كانوا طرفا بارزا في

اسقاط الامبراطورية الاشورية وكانوا في الوقت نفسه السبب الذي اجبر الميديين بالرجوع الى بلادهم من بعد اسقاط الامبراطورية الاشورية، وفضلا عن ذلك فان الكلديين قد تمكنوا من تكوين امبراطورية عظيمة يشهد التاريخ على عظمتها وعلى انجازاتها الكثيرة.

الملك نبوخذنصر

٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق.م

يلفظ اسم هذا الملك باللغة البابلية بصيغة «نابو ـ كودوري ـ اوصر» ونـابـو هو اله مدينة بورسيبا الرئيس وابن الاله مردوك، الاله الرئيس للبابليين عموما، ونابو هو ايضا اله فن الكتابة وحامي الكتاب. وكلمة «كودورّو» لها معان ثلاثة، الاول هو «واسطة لنقل الطين والطابوق»، والثاني هو «حجرة حدود أو حدود» والثالث هو «الابن الاكبر»، و«اوصر» هي صيغة الامر او الرجاء من الفعل «نصارو» الذي بمعنى «يحمي».

والمعاني الثلاثة لكلمة «كودورّو» تجعلنا في حرج بسيط اذا ماأردنا ان نحدد معنى اسم هذا الملك، لاننا لاندري اي معنى من هذه المعاني الثلاثة تعنيه كلمة «كودورو» ضمن اسم الملك نبوخذنصر. ولكننا لو تأملنـا جيدا هذه المعـاني الثـلاثـة سوف يكون بالضرورة معنى اسم نبـوخذنصر هو «ياإله نابو احمي ابني الكبير، اي البكر»، لانه ليس معقولاً ان تعني كلمة «كودورو» ضمن اسم الملك نبوخذنصر «الواسطة التي ينقـل بهـا الطين او الطابوق»، لانها آلة بسيطة يمكن تصنيعها بسهولة ولاتستوجب هذا الرجاء من الاله نابو لحمايتها.

ويمكننا ايضا ان نستبعد معنى «حجرة الحدود او الحدود»، لان الملك نبوخذنصر قد حمل هذا الاسم من قبل ان يستلم الحكم، اي منذ فترة الـولادة، ولذلك ليس مقبولا ان يكون معنى اسمه «ياإله نابو احمي حدودي»، لان هذا المعنى قد يخص والده ولايخصه هو، لان الاسماء البـابلية كانت تتضمن عادة أماني الوالدين لوليدهما وليس لنفسيهما، ولذلك فانه معقول جدا ان تكون امنية الوالد او الوالدة هي الرجاء من

الاله نابو ان يحمي الابن الكبير، اي الابن البكر.

ومما يزيد التأكيد على هذا المعنى لاسم الملك نبوخذنصر هو اسم والده نابوبولاصر الذي لايختلف في معناه عن معنى ابنه نبوخذنصر، لانه يلفظ باللغة البابلية بصيغة «نابو ـ ابلا ـ اوصر» وكلمة «ابلو» تعني «الابن البكر او الوريث» وبذلك يكون معنى اسم الملك نابوبولاصر «ياالله نابو احمي ابني البكر».

مما تقدم يبدو واضحا ان اسمي الملك نبوخذنصر ووالده يحملان نفس المعنى ومن اجل التفريق بينهما استخدم في اسم الملك نبوخذنصر كلمة «كودورو» للتعبير عن الابن البكر وفي اسم والده استخدمت كلمة «ابلو» للتعبير عن الابن البكر، علما ان كلمة «ابلو» هي حالة النصب لكلمة «ابلو» لانها مفعول به.

اما التسمية نبوخذنصر التي نستخدمها في كتاباتنا باستمرار والمعروفة ايضا لمعظم الناس فقد استخدمت في العهد القديم (= التوراة)، اما المصادر العربية القديمة فقد ذكرت الاسم بصيغة «بختنصر».

حكم هذا الملك مدةً طويلة من الزمن بلغت أثنتين وأربعين سنة، وهذه الحقيقة لوحدها تؤكد على جدارة هذا الملك، لأن تاريخ العراق القديم قد قدم لنا أدلة كافية على آن معظم الملوك الذين حكموا مددا تزيد على الأربعين سنة كانوا من الجيدين والذين يمتلكون موهبة القيادة حقا وحقيقة.

والملك نبوخذ نصر قد آظهر مهارته القيادية من قبل تسلمه الحكم، حيث سبق وان ذكرنا بأنه قد تولى قيادة الحملة العسكرية التي ارسلت الى بلاد الشام لمحاربة الملك المصري نيخو الثاني، وكيف استطاع نبوخذنصر دحر قوات الملك المذكور وسيطر على بلاد سوريا، وكانت الفرصة مواتية امامه لدخول مصر، لان قواته قد وصلت الى حدود

العريش، ولكن الانباء التي بلغته بوفاة والده قد اضطرته العودة سريعا الى بابل لحضور مراسيم دفن والده وتبوء عرش بابل في ٢٣ ايلول من عام ٦٠٤ ق.م.

والملك نبوخذنصر قد انجز الكثير اثناء فترة حكمه الطويلة في كافة المجالات العسكرية والادارية والبنائية، ولكي تكون الصورة واضحة عن هذا الملك سنتحدث فيما يلي عن كل من هذه الانجازات :ـ

الانجازات العسكرية

من الحقائق التاريخية المعروفة هو ان الاشوريين قد احتلوا مصر مرتين، الاولى زمن الملك اسرحدون ٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق.م، والثانية زمن الملك اشور بانيبال ٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق.م، ولم تتحرر مصر من نفوذ الاشوريين الا بعد سقوط العاصمة الاشورية نينوى عام ٦١٢ ق.م على يد الميديين.

ولذلك فان ظهور الدولة الكلدية ونموها قد اثار مخاوف المصريين من وقوعهم ثانية تحت سيطرة الدولة الكلدية، ولهذا فقد حاولت اثارة العراقيل امامها في سوريا وفلسطين لتمنع عنها الاستقرار والنمو وتبعد تفكيرها عن احتلال مصر، ولهذا فان حملات الملك نبوخذنصر قد تركزت على الجبهة الغربية.

ففي سنة حكمه الاولى، اي في عام ٦٠٤ ق.م تقدم الملك نبوخذنصر بجيشه نحو الاراضي السورية وتنقل بين مدنها من دون ان يواجه اية صعوبة او معارضة تذكر، وخلال الفترة التي امضاها داخل الاراضي السورية والتي كان امدها ستة اشهر، قدم فيها حكام

الدويلات الصغيرة فروض الطاعة والجزية للملك نبوخذنصر.
ومن خلال اخبار هذه الحملة يبدو ان مدينة عسقلان (عسقلون سابقا) في فلسطين هي الوحيدة التي لم ترض الخضوع لسيادة الملك نبوخذنصر، ولذلك احكم سيطرته عليها بالقوة واسر حاكمها واخذ منها الكثير من الاسرى والغنائم ثم عاد الى بابل.
وفضلا عما تقدم فان حملات الملك نبوخذنصر على سوريا وفلسطين قد تكررت في السنة الثانية والثالثة من حكمه. اما في سنة حكمه الرابعة اي عام ٦٠١ ق.م فلم يكتف الملك نبوخذنصر بالذهاب الى بلاد الشام فقط بل قرر كذلك التوجه نحو مصر، التي كانت السبب المباشر في اثارة الدويلات في سوريا وفلسطين ضد الدولة الكلدية. وعندما التقى الجيشان البابلي والمصري تكبد الطرفان اثناء المعركة خسائر كبيرة مما اضطر ذلك الملك نبوخذنصر الى الانسحاب والعودة الى بابل دون ان يحقق هدفه.

وهذه النتيجة التي وصل اليها الملك نبوخذنصر قد شجعت «يهوياكيم» حاكم مملكة يهوذا لان يتنكر في ولائه للملك نبوخذنصر بعد ماكان تابعا له لمدة ثلاث سنوات متوالية، على الرغم من نصائح «ارميا» الذي تصفه التوراة بالنبي، بعدم معاداة الدولة الكلدية، فاسرع الملك نبوخذنصر عام ٥٩٧ ق.م بارسال جيش حاصر مدينة اورشليم عاصمة مملكة يهوذا، وبعد حصار دام حوالي شهرين استسلمت المدينة له وهلك ملكها «يهوياكيم» اثناء فترة الحصار. ولم يكتف الملك نبوخذنصر بذلك بل اخذ معه ٣٠٠٠ اسير وهجرهم الى مدينة بابل بعد ان نصب «صدقيا» ملكا على يهوذا، الذي اقسم امام الملك نبوخذنصر بيمين التبعية والولاء وأكد على بقائه حاكما تابعا لنبوخذنصر وعدم القيام باي عمل مخادع وان لايعقد اية صداقة مع المصريين.

وعملية التهجير هذه التي قام بها الملك نبوخذنصر قد سميت بالعهد القديم (=التوراة) بالسبي البابلي الاول، واستخدام التوراة لكلمة سبي بدلا من التهجير يرجع الى رغبة اليهود في الاساءة الى سمعة الملك نبوخذنصر، لان التوراة قد تناست المشاكل والاضطرابات التي كانت تثيرها هذه المملكة امام الدولة الكلدية بشكل عام وامام الملك نبوخذنصر بشكل خاص، لان واقع الحال يؤكد ان الملك نبوخذنصر لم يستخدم سياسة التهجير مع سكان اية مدينة من مدن بلاد الشام ولكنه كان مضطرا لان يسلك هذه السياسية مع سكان مملكة يهوذا، وان هذا الاضطرار ماكان بسبب كونهم يهوداً، بل ان سببه يعود الى موقع مملكة يهوذا، حيث انها كانت دولة حدودية بالنسبة الى مصر، وهذا يعني انها كانت تتأثر قبل غيرها من ممالك بلاد الشام بالتحريضات المصرية ضد الدولة الكلدية، ولذلك كانت يهوذا تسبب المشاكل للدولة الكلدية اكثر من غيرها من ممالك بلاد الشام.

ولهذا كان الملك نبوخذنصر مضطرا الى اتباع سياسة تهجير السكان معها ليقلل من المشاكل التي كانت تسببها يهوذا باستمرار. وكان من بين المهجرين الذين اخذوا الى مدينة بابل «يهوياقين» ابن «يهوياكيم»، لان بقائه داخل مملكة يهوذا قد يؤثر على صدقيا، الذي عينه الملك نبوخذنصر، لان يهوياقين من افراد البيت الحاكم السابق. والاسرى الذين جلبهم نبوخذنصر قد سكنهم في المناطق المحيطة بمدينة بابل ليكونوا تحت رقابته من جهة وتحت حمايته من الجهة الاخرى.

وفي السنة التاسعة من حكمه، اي في عام ٥٩٦ ق.م، حاول العيلاميون الاعتداء على حدود الدولة الكلدية، ولكن تقدم الملك نبوخذنصر نحو عيلام وبلوغه مايقرب الـ«٣٥» كم من منطقة تجمع العيلاميين، قد ارعب ملك عيلام بعد اطلاعه على قوة الجيش القادم

للقضاء على قواته، فأضطر الى التراجع امام جيش الملك نبوخذنصر والعودة الى بلاده.

وفي السنة العاشرة من حكمه تمكن الملك نبوخذنصر من كشف مؤامرة خطيرة حدثت بين صفوف جيشه والقى القبض على مدبر هذه المؤامرة وقتل كثيرا من المشاركين فيها. وفي حديثنا عن اعمال الملك نبوخذنصر الادارية سوف نكرر الحديث عن هذه المؤامرة وسوف نحاول كشف هوية مدبرها.

وفيما يخص مملكة يهوذا فقد ظل صدقيا الذي عينه الملك نبوخذنصر حاكما على يهوذا مدة تسع سنوات ٥٩٧ ـ ٥٨٩ ق.م مواليا لنبوخذنصر، وبعد ذلك انجرف صدقيا مع المناوئين للدولة الكلدية وفي مقدمتهم مصر، وامتنع عن دفع الجزية واعلن استقلاله على الرغم من معارضة ارميا الذي تصفه التوراة بالنبي.

وبناء على ذلك اسرع الملك نبوخذنصر على رأس جيش الى بلاد الشام وجعل مدينة ربلا القريبة من حمص مقرا لقيادته، ثم قام بمحاصرة العاصمة اورشليم فاضطر صدقيا الى طلب المساعدة العسكرية من محرضه ملك مصر «ابريس» الذي يدعى ايضا «خفرع»، وعند وصول قوات الملك ابريس انسحب الجيش البابلي وفق خطة رسمها الملك نبوخذنصر ورفع الحصار عن المدينة موهما خصومه بعدم قدرة القوات البابلية على مواجهة الموقف. ولذلك قرر الملك ابريس العودة الى بلاده مادامت القوات البابلية قد رفعت الحصار عن اورشليم وتراجعت. وما ان وصلت قوات الملك ابريس (= حوفرا) الى بلاد مصر، باغت الملك نبوخذنصر مدينة اورشليم بهجوم جديد حاصر به المدينة اولا ومن ثم دخلها منتصرا عام ٥٨٧ ق.م.

واثناء دخول القوات البابلية الى مدينة اورشليم حاول صدقيا وعائلته الهرب من المدينة لعلمه الاكيد بالمصير الذي سوف يصيبه نتيجة تنصله عن اليمين الذي اقسمه للملك نبوخذنصر بعدم الثورة والعصيان ضد السيادة البابلية ولكن احد اليهود قد اخبر قائد الملك نبوخذنصر المدعو «نابو - زير - ايدينا» بمكان صدقيا فتم القبض عليه مع عائلته قرب اريحا واحضر الى مقر الملك نبوخذنصر في مدينة ربلا، فعاقبه العقاب الذي يستحقه ثم امر بتقييده ونقله الى مدينة بابل.

وقبل مغادرة الملك نبوخذنصر مقر قيادته في ربلا والعودة الى بلاد بابل امر قائده «نابو - زير - ايدينا» بان يرحل من سكان مملكة يهوذ حوالي ٤٠٫٠٠٠ اسير. وهذا التهجير الثاني لسكان مملكة يهوذا قد سمي من قبل العهد القديم (=التوراة) بالسبي البابلي الثاني.

وبعد ان قضى الملك نبوخذنصر على مملكة يهوذا توجه نحو المدن الفلسطينية والسورية لمعاقبتها على تمردها، فاعاد الى تلك المدن السيادة البابلية بسرعة كبيرة، الا مدينة صور، التي تمكنت من مقاومة حصار دام ثلاثة عشر عاما، لان مدينة صور كانت شهيرة بتحصيناتها، حيث كانت محصنة بسورين، وفضلا عن ذلك فأنها كانت عبارة عن مدينتين، الاولى في الساحل، حيث يستوطن فيها الناس لاداء شؤونهم الاعتيادية كالتجارة والزراعة والثانية في جزيرة قريبة ملاصقة يعتصم بها السكان في اثناء الغزوات والاخطار، وعلى الرغم من تحصينات هذه المدينة فقد سقطت بيد الجيش البابلي في عام ٥٧١ ق.م.

ومع كل مافعله الملك نبوخذنصر في سوريا وفلسطين، الا ان مصر قد استمرت على تحريضها للدويلات السورية للثورة ضد السيادة البابلية، لان ذلك هو الواسطة الوحيدة التي تمنع بها الملك نبوخذنصر من احتلال مصر، ولذلك صمم نبوخذنصر على احتلال مصر زمن

ملكها المدعو «اماسيس» وذلك في عام ٥٦٨ ق. م، ولكن النص الذي اخبرنا بهذا التصميم كان ناقصا ومخروما ولذلك لم نتمكن من معرفة النتيجة.

هذا وقد ظل الملك نبوخذنصر طيلة فترة حكمه يرسل الحملات العسكرية الى بلاد الشام، وذلك من اجل ضمان طرق التجارة الخارجية التي تصله بموانيء البحر الابيض المتوسط. وفضلا عن ذلك فقد خلف لنفسه اثارا تذكارية في جبال لبنان وبالتحديد ضمن منحوتات نهر الكلب. ومنحوتات النهر المذكور هي الاتي حسب تسلسلها الزمني :-

١- كتابة الفرعون رعمسيس الثاني ١٢٩٠ - ١٢٢٣ ق. م

٢- ستة نقوش اشورية اوضحها نقش الملك الاشوري اسرحدون ٦٧١ ق. م.

٣- نقش الملك نبوخذنصر

٤- نقوش اغريقية مطموسة غير واضحة.

٥- نقش الامبراطور الروماني «كراكلا» مطلع القرن الثالث الميلادي.

٦- نقش عربي غير واضح

٧- ازال الفرنسيون احد النقوش المصرية ونقشوا بدلا منه كتابة تسجل احتلالهم لبنان ١٨٦٠ - ١٨٦٢م

٨- كتابة الجنرال الفرنسي «غورو» ونقش الجنرال الانكليزي «اللنبي».

٩- تذكار جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م.

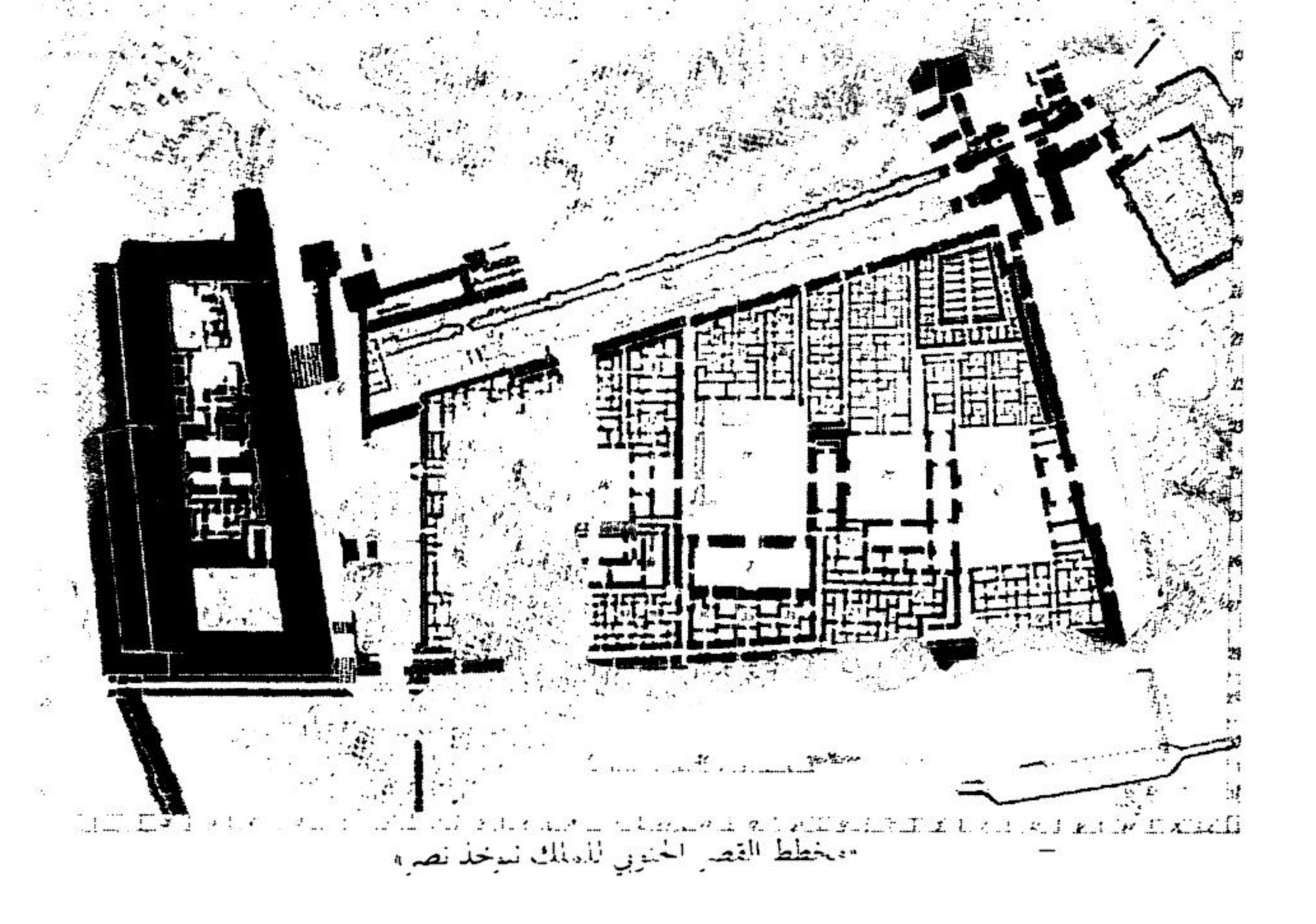
١٠- نقش لبناني في ذكرى جلاء الفرنسيين من لبنان ١٩٤٦م.

انجازاته الادارية

ان معظم كتابات الملك نبوخذنصر قد تركزت على انجازاته العسكرية والبنائية ولم يتطرق الى القضايا الادارية الا ما ندر، والسبب في ذلك لايعود الى اهمال الملك للشؤون الادارية، بل يعود الى طبيعة النظم الادارية نفسها، لان النظم الادارية تكاد تكون ثابتة لاتتغير باستمرار، ولذلك لم تتحدث عنها كتابات الملك نبوخذنصر، لان الكتابات عادة تتحدث عما هو جديد، بينما اعماله العسكرية والبنائية تحدث وتزداد في كل عام، ولذلك تركزت عليها كتاباته.

ومع هذه الحقيقة الخاصة بالشؤون الادارية، يمكننا ان نقدم عنها صورة واضحة. فالقصر الملكي وبالاخص القصر المعروف باسم القصر الجنوبي كان يمثل المركز السياسي والاداري والعسكري للدولة الكلدية، وفيه تتخذ الاحكام والقرارات العسكرية والاوامر الادارية وفيه ايضا تقام الاحتفالات الرسمية واستقبال الوفود القادمة الى مدينة بابل لتقديم الجزية وغير الجزية امام الملك، وقاعة العرش من القصر المذكور هي التي كانت تشهد الاحتفالات الرسمية واستقبال الوفود، ولذلك صممت بحجم كبير يستوعب عددا كبيرا من الاشخاص وباسلوب يجعل كل الموجودين في القاعة وفي الفناء المجاور لها يستطيعون رؤية الملك وهو جالس على كرسي عرشه. وفضلا عن ذلك فان القصر كان يضم كبار موظفي البلاط وكذلك من هم أقل درجة، فالقصر الملكي، اي القصر الجنوبي كان عبارة عن ديوان الحكومة الكلدية.

ومن خلال احد النصوص المسمارية التي عثر عليها في بابل تعرفنا على نوعية الاعمال والواجبات التي كان يقوم بها كبار موظفي البلاط. وفي



"مخطط القصر الجنوبي للملك نبوخذ نصر"

مقدمة هؤلاء الموظفين هو رئيس الخبازين، الذي كان مسؤولا عن اعداد وتوزيع الخبز لافراد العائلة المالكة وعلى عوائل اصحاب المناصب القيادية في الدولة الكلدية. واهمية منصب رئيس الخبازين تبرز من خلال تمتع صاحبه بثقة الملك والقيادة عموما، مادام هذا الشخص مؤتمن على غذاء قيادة الدولة، وهذا يعني طبعا ان حياتهم كانت امانة بيده.

ويلي رئيس الخبازين، كبير اداريي القصر، الذي كان مسؤولا عن الحاشية المالكة وعن ولي العهد وعن الكتبة والنساخين ايضا. ومن الموظفين الكبار في قصر الملك نبوخذنصر هو المسؤول عن حراسة بوابة القصر والمنظم لدخول وخروج الوافدين الى قصر الملك.

ان هذه الوظائف الثلاث قد وضعت في مقدمة الوظائف الاخرى، التي قد يكون اصحابها اكثر اهمية ومكانة في الدولة، لالسبب سوى لان حياة الملك وسلامته واوامره كانت بيد اصحاب هذه الوظائف، واذا كان اختيارهم غير موفق فان حياة الملك وحاشيته تكون في خطر شديد. ومن الموظفين، الذين كان لهم اهمية كبرى بالنسبة لقصر الملك وحاشيته هو ساقي البلاط، الذي كان مسؤولا عن توفير الماء بصورة عامة وعن توفير الماء البارد المثلج في موسم الحر. ويلي هؤلاء الموظفين في الاهمية قواد الجيش وقواد الامن الداخلي والقضاة والمهندسون والاطباء والموسيقيون وغيرهم.

هذا وقد كانت بلاد بابل مقسمة الى ثلاث وعشرين وحدة ادارية، يدير شؤون كل وحدة موظف يعين من قبل الملك ويكون على اتصال مباشر به، وهذا الاسلوب الذي اتبعه الملك نبوخذنصر في ادارة الوحدات الادارية او الولايات قد استخدمه جميع الملوك الذين سبقوا نبوخذنصر في حكم العراق القديم، لان حاكم الولاية اذا لم يشعر بأنه موظف وانه عرضة للتغيير في حالة التقصير بواجباته فأنه بالتدريج يتحول الى مالك

لولايته وقد يرث الحكم من بعده ابنه فتتحول بذلك الدولة الكبيرة الى دويلات مدن.

وفيما يتعلق بادارة الولايات الكائنة في بلاد الشام فقد انتهج الملك نبوخذنصر نفس السياسة التي طبقها الاشوريون في هذا المجال والتي تتلخص في تعيين احد موظفي الولاية حاكما يدير شؤونها باسم الملك ويقدم له الجزية السنوية، حيث ان التجربة العملية لكل الملوك الذين اقاموا امبراطوريات، قد اوضحت لهم بان الثورات والاضطرابات داخل الولايات تقل بنسبة عالية جدا عندما يكون حكام تلك الولايات من سكان الولايات نفسها.

والملك نبوخذنصر كغيره من ملوك العراق القديم الكبار قد فصل السياسة عن الدين وفصل القضاء عن السلطة التنفيذية، حيث ان فصل القضاء عن السلطة التنفيذية قد مارسها ملوك العراق القديم منذ منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وحتى نهاية الدولة الكلدية. ومما يدلل على صواب هذا الاجراء هو ان المحاكم حتى الوقت الحاضر وفي جميع انحاء العالم منفصلة عن السلطة التنفيذية الموجودة في الولايات وتحكم باسم السلطة المركزية ووفق قوانينها، ولاتأثير لحكام الولايات على قراراتهم. وهذا الاجراء ولاشك يمنع حكام الولايات من الاستبداد في تصريف شؤون ولاياتهم ان كانت لهم الرغبة في ذلك، ولذلك كانت قرارات المحاكم تصدر باسم الملك وبعد اداء القسم باسمه.

ومن الانجازات الجديدة التي قدمها الملك نبوخذنصر في مجال القضاء هو تشكيله لنوع من المحاكم عرفت باسم «مجلس الشعب»، ومن خلال احد النصوص المسمارية التي عثر عليها في مدينة بابل يبدو واضحا ان مجلس الشعب كان مؤسسة قضائية تعرض عليها الدعاوى الكبرى، التي لها علاقة بأمن وسلامة الدولة والبلاد ويحضر جلسات

هذا المجلس احيانا الملك نفسه.

والنص المذكور عبارة عن عقد خاص ببيع حقل، ولكن الغريب في هذا العقد ان مقدمته قد احتوت على النص التالي: - «بابا - اخو - بوليط» ابن «نـــابـــو - اخي - بوليط» وسليل «. . . ليمـير»، قد ارتكب ذنبا وجريمة، ولعمل سيء قد وجه فكره. والقسم باسم الملك، سيده، لم يلزم به، كما انـه قد خطط لخيانـة. نبوخذنصر، ملك بابل، الامير، المستشـار، الـراعي، اكثر الناس سعة، الذي هو مثل الاله شمش، والـذي يوجـه اهتـمامه على كل البلدان، مثبت الحق والعدالة، مبيد الاشرار والاوغـاد، الاعـمال الرديئة لـ«بابا - اخو - ايدينا» قد ضبطها وتـآمره قد اثبته. الخيانة التي قام بها «بابا - اخو - ايدينا» في مجلس الشعب قد عرضها (الملك نبوخذنصر على اعضائه) ونظر اليه بغضب وقال بخصوصه: يجب ان لايبقى على قيد الحياة، ولذلك قطعت رقبة «بابا - اخو - ايدينا».

وبناء على ترجمة هذا النص نعتقد ان «بابا - اخو - ايدينا» كان على رأس المؤامرة التي حدثت بين صفوف جيشه في السنة العاشرة من حكمه والتي سبق وان اشرنا اليها، لان تاريخ هذا العقد معاصر للتأريخ الذي كشفت فيه المؤامرة.

ومن الاجـراءات الجديدة التي ادخلها الملك نبوخذنصر في مجال القضاء هو ان المجرم في الجرائم الاعتيادية وليس السياسية لايحكم عليه بالاعـدام الا في حالـة تكـرار الجـريمـة، والسبب الـذي دفع الملك نبـوخذنصر لاتخاذ هذا القرار، لا لانه اكثر انسانية من الملوك الذين سبقوه، بل لان السجن قد عرف اثناء حكم الدولة الكلدية، فقرارات الاعدام التي كانت تتخذ في السابق بحق المجرمين، يرجع سببها الى عدم وجود البديل اي عدم وجود السجن، بينما في زمن الملك نبوخذنصر

اصبح ممكنا ان يلقى المجرم في السجن بدلا من اعدامه، واذا لم يتمكن السجن من تغيير روحه الاجرامية، لذلك نص القانون على اعدامه اذا ماكرر الجريمة ثانية.

الترجمة الحرة للنص المسماري

«بابا ـ اخو ـ ايدينا» ابن «نابو ـ اخي ـ بوليط» وسليل « . . ليمير» ارتكب ذنبا وجريمة، ولعمل سيء قد وجه فكره. والقسم (باسم) الملك، سيده لم يلتزم به، كما انه خطط للخيانة.

نبوخذنصر، ملك بابل، الامير، المستشار، الراعي، اكثر الناس سعة، الذي هو مثل الاله شمش، والذي يوجه اهتمامه على كل البلدان، مثبت الحق والعدالة، مبيد الاشرار والاوغاد، والاعمال الرديئة لـ«بابا ـ اخو ـ ايدينا» قد ضبطها وتآمره قد اثبته.

الخيانة التي قام بها (بابا ـ اخو ـ ايدينا)، في مجلس الشعب قد عرضها (على اعضائه)، ونظر اليه بغضب وقال بخصوصه: يجب ان لا(يبقى على قيد) الحياة، فقطعت رقبته (أي رقبة «بابا ـ اخو ـ ايدينا»).

M. ILU BA-BA-AHU-IDDINA APIL-ŠUŠÁ

العائد الابن «بابا-اخو-ايرينا» السيد

M. ILU NABU.AHHÊ-BUL.LIṬ APIL —

..«سليل » نابو-اخي-بوليط » للسيد

LIMMIR AN-NAM Ù GI-IL-LA-TI

جريمة و ذنباً «ليمير

Ú-MA-'-IR-MA A-NA A-MUT LI-MUT

عمل مسيء نحو و قد ارتكب

-TI UZUN-ŠÚ A-DI-E ŠARRI BELIŠU

سيره بالملك القسم فكره قد وجه

LA IṢ-ṢUR-MA IŠ-TE-'-A ṢURRATIM

خيانة خطط بل يلتزم لم

I-NA ÛMÎ ŠU-MA NABUKUDURIUṢUR

نبوخذ نصر هذه الايام في

«النص المسماري الخاص باعدام «بابا - اخو - ايدينا»

ŠAR BA-BI-I-LI-KI RU-BU-Ú

ملك بابل الامير

MUŠ-TA-A-LU RI-É-A-UM NIŠÊ

المستشار الراعي الناس اكثر

RA-AP-ŠÁ-A-TIM ŠÁ KI-MA ILU ŠAMŠI

سعة الذي مثل الاله شمش

I-BA-AR-RU-Ú GI-MIR

الذي ينظر على كل

MA-TI-TA-AN MU-KI-IN KI-IT-TIM

البلدان مثبت الحق

Ù MI-ŠÁ-RU MU-HA-AL-LI-IG

و العدالة مبيد

RA-AG-GU Ù ZA-MA-NU IP-ŠE-E-TI

الاشرار و الاوغاد الاعمال

«تكملة النص»

M ILU BA-BA$_4$-AḪU-IDDINA LI-IM-NI-E-TI

الرديئة لـ " بابا - اخو - ايدينا "

IT-TA-AT-ṬA-AL-MA RI-KIL-TA-ŠU

تأمره و قد ضبطت

IK-ŠU-UD QUL-LUL-TI I-PU-ŠU

التي قام بها الخيانة قد مسك

INA PUḪUR UMMANI ELI-ŠU Ú-KI-ÌN-

عرضت عليه الشعب مجلس في

MA AG-GIŠ IK-KIL-ME-ŠU-MA LA BALAṬSU

حياته لا و نظر اليه بغضب و

IQ-BI-MA NAPIŠTIM-ŠU IK-KI-SU

قطعت حياته و قال

«التكملة الاخرى للنص»

سياسته مع المعابد

ان جميع الملوك الذين فصلوا السياسة عن الدين في حكم دولهم قد قلصـوا بعض الشيء من سلطة المعبـد، لان المعابد اثناء حكمهم قد تفرغت الى الشؤون الدينية فقط ولم تتدخل في الشؤون السياسية، وهذا التقليص كان لابـد منـه لان القيادة في كل المجالات لابد وان تكون واحدة، حيث لو ازدوجت فان في ذلك خراب للبلاد. واحسن مثال على ذلك الانسان نفسه، حيث لو امتلك دماغين لادماغ واحد لما عرف ان يعيش بصورة طبيعية، لان الانسان سوف لايدري اوامر اي دماغ ينفذ، وماذا سيحصل له لو نفذ امراً واحداً منهما ورفض تنفيذ امر الدماغ الثاني.

والملك نبوخذنصر واحد من الملوك الذين فصلوا السياسة عن الدين، لانـه قد كون امـبراطـورية ضمت تحت لوائهـا اقـواما مختلفة وآلهة متعددة، ولذلك ماكان ممكنا له ان يفضل ديناً على دين او إلهاً على اله، ولذلك كان لابد له ان يفصل السياسة في حكمه عن الدين ويمنح اقوام امبراطوريته حريتهم الدينية، مادامت هذه الحرية لاتؤثر على سير الحكم.

ومع هذه الحقيقة الخاصة بعلاقة الملك نبوخذنصر بالمعابد، الا ان النصوص المسمارية التي عثر عليها في معبد «اي ـ انا» في مدينة الوركاء قد اشارت الى ازدياد املاك هذا المعبد واتساع نشاطه التجاري في داخل البـلاد وخـارجها، بحيث اصبح مركزا اجتماعيا واقتصاديا ويبدو كأنه مستقل عن الحكومة في بابل.

وكان على رأس الجهاز الاداري للمعبد موظف يعرف باسم «الشتامو» ويمثل مدير الشؤون الاقتصادية للمعبد والى جانبه موظف اخر يسمى «القيبو» وهو يمثل الملك وينوب عنه داخل المعبد اضافة الى مجموعة كبيرة من الكتاب.

لقد كان معبد «اي ـ انا» في الوركاء يستأجر العمال والعبيد لحرث الحقول وحصدها وحفر قنوات الري وكريها في الاراضي الزراعية العائدة اليه.

وكان لمعبد «اي ـ انا» اضافة الى الاجراء والعبيد جماعات خاصة به وهم من بين الافراد الذين كانوا ينذرون انفسهم منذ الصغر لخدمته، وكان المعبد هو المسؤول عن ايوائهم واطعامهم واكسائهم، فهم بذلك لايختلفون عن الرهبان في الوقت الحاضر، ولذلك فان عملية نذر الاشخاص ذكورا كانوا ام اناثاً لانفسهم منذ الصغر لخدمة معبد «اي ـ انا» ماهي الا البدايات الاولى لظاهرة الرهبنة الموجودة في الديانة المسيحية ان هذه الحقائق عن معبد «اي ـ انا» في مدينة الوركاء لم نجد مايماثلها في اي معبد اخر ضمن حدود الدولة الكلدية، فهي اذن ظاهرة خاصة وليست عامة. وسببها يعود الى ان مدينة الوركاء من المدن السومرية الرئيسة وان منطقة سومر المحصورة مابين الديوانية وسوق الشيوخ، قد عانت الكثير من الملوحة التي غزت ارضها من قبل ان تغزو المناطق الاخرى. وفضلا عن ذلك فان الكلديين عموما قد عاشوا بين السومريين من قبل وصولهم لحكم مدينة بابل، ولذلك يبدو لنا ان الملك نبوخذنصر قد سمح لمعبد «اي ـ انا» بالذات دون غيره من المعابد الاخرى هذه الحرية في التجارة والزراعة، لكي تتحسن بذلك اوضاع سكان منطقة سومر الاقتصادية، فيرضي بذلك السومريين ويكسب ودهم ويستفاد هو ايضا مادام المعبد المذكور يحتوي على موظف يمثل

الملك ويرعى مصالح الدولة داخله. ومما يؤكد على ان حرية معبد «اي ـ انا» في الوركاء كانت حالة خاصة وليست عامة، هو ماحصل لها عندما تسلم الملك نابونيد ٥٥٥ ـ ٥٣٩ ق.م حكم الدولة الكلدية، حيث عزم على وضع حد لاستقلال المعبد ووضعه تحت اشراف الدولة اكثر مما كان عليه، فعين فيه عام ٥٥٣ ق.م موظفين من رتبة عالية ليهيمنا على شؤون المعبد الاقتصادية.

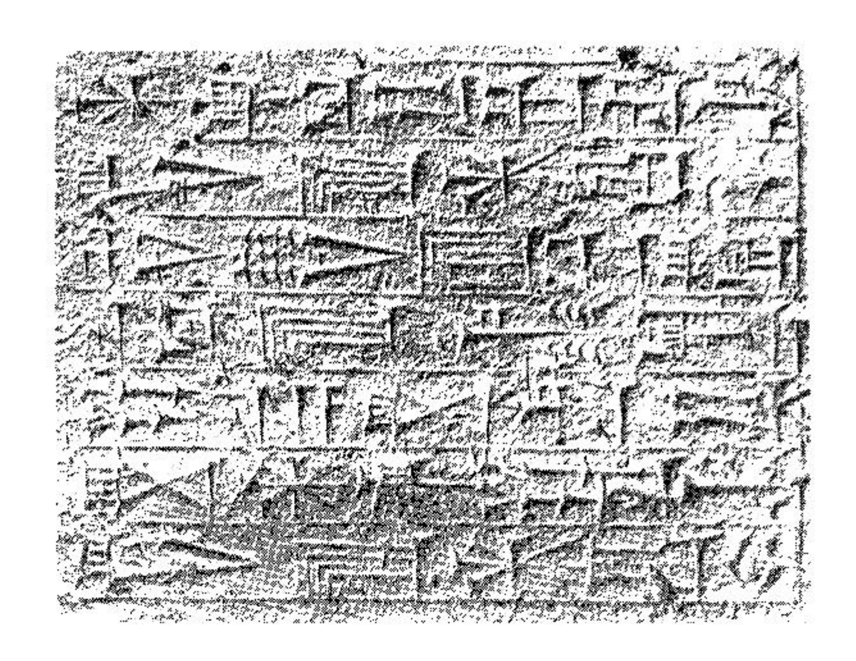
وهذا التدخل في شؤون معبد «اي ـ انا» قد اثار ولاشك سخط الكهنة في منطقة سومر عليه، فصار ذلك من احد الاسباب التي ادت الى سقوط هذا الملك والدولة الكلدية نفسها.

انجازاته البنائية

من الحقائق المستخلصة من تجارب التأريخ والتي نبدأ بها حديثنا عن اعمال الملك العمرانية هي: «ان العلوم والفنون والعمارة ماهي في الواقع الاظل السلطة السياسية في المجتمع، وكلما كان هذا الظل كبيرا دل على عظمة تلك السلطة».

وبناء على هذه الحقيقة فان عظمة الملك نبوخذنصر تبرز عاليا من كثرة انجازاته في حقل البناء والتعمير، حيث ان معظم كتابات الملك المذكور قد تركزت على نشاطه العمراني في مدينة بابل وفي جميع مدن العراق المهمة، والاجر المختوم بأسمه والمنشورة صورته وترجمته الى العربية ضمن صفحات هذا الكتاب، يجده المرء منتشرا في كل مكان من بلاد بابل.

وفيما يخص مدينة بابل عاصمته فان مانشاهده الآن في المدينة



«كتابة بنائية تذكارية من زمن الملك نبوخذ نصر وتمثل اسمه المختوم على الطابوق»

ILU NABU - KU - DU - UR - RI - UṢUR
نبوخذ نصر

ŠAR BABILI KI
ملك بابل مدينة

ZA - NI - IN É - SAG - ÍLA
موصول اياكيلا

Ù É - ZI - DA
و ايزيدا

APLU A - ŠA - RI - DU
الابن الوريث البكر

ŠA ILU NABU APLA - UṢUR
لـ نابوبولاصر

ŠAR BABILI KI
ملك بابل مدينة

الترجمة :- «نبوخذ نصر، ملك بابل، موصول معبد اياكيلا (= المعبد ذو الـرأس المـرفـوع) ومعبد ايزيدا (= المعبد الجيد) الابن البكر لنابو بولاصر ملك بابل»

المذكورة هو من بقايا الاعمال البنائية التي قام بها الملك نبوخذنصر بالدرجة الاولى، اما بقايا مدينة بابل للفترات التي سبقت فترة حكم الدولة الكلدية، فانها تقع الآن تحت مستوى المياه الجوفية.

ان الاعمال العمرانية التي نفذها الملك نبوخذنصر في بابل قد جعلتها من اكبر مدن الدنيا القديمة، ولذلك قال عنها المؤرخ اليوناني «هيردوتس» أنها مدينة لاتضاهيها في عظمتها وسعتها مدينة اخرى. وان شهرة هذه المدينة هي التي جعلت منها عنوان حضارة بلاد وادي الرافدين ونسب اليها القطر العراقي كله بحيث سمي بلاد بابل وسكانه وصفوا بالبابليين.

وفيما يخص اسوارها وجنائنها المعلقة فقد عدت من عجائب الدنيا السبع، كما وصفها «ارميا» الذي اعتبرته التوراة على انه احد انبياء اليهود بأنها «كأس ذهب بيد الرب جعل الارض سكرى».

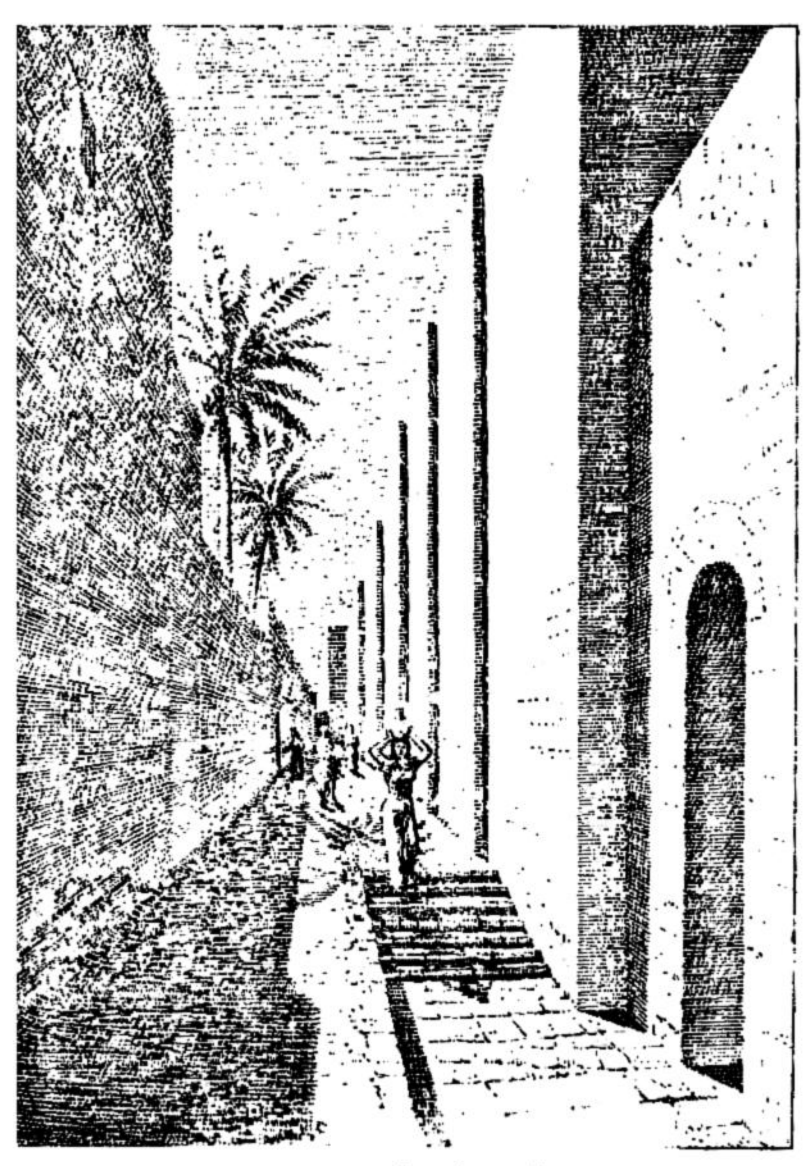
والتنقيبات التي اجراها الالمان في بابل خلال الاعوام ١٨٩٩ - ١٩١٧م، قد كشفت من الانجازات العمارية مايبرز الشهرة الواسعة التي حظيت بها مدينة بابل، حيث انها كانت قبل كل شيء محاطة بسورين ضخمين، ويتألف كل واحد منهما من اكثر من جدار واحد، والمسافة التي تفصل بين هذين السورين حوالي «٢كم» وقد خصصت المساحات المحصورة بينهما الى ضواحي المدينة، حيث البيوت القروية والريفية وبساتين النخيل والاشجار المثمرة الاخرى، ولم يشيد فيها من المباني الحكومية الضخمة سوى قصر الملك نبوخذنصر المعروف باسم القصر الصيفي.

يتألف السور الخارجي ومحيطه حوالي ١٨كم من ثلاثة جدران الواحد بعرض الاخر، وسمك الجدار الاول ابتداء من الداخل هو ٧م ومشيد باللبن، وسمك الجدار الثاني حوالي ٧م ومشيد بالاجر، وسمك الجدار

الثالث ثلاثة امتار ومشيد بالاجر ايضا .

اما السور الداخلي فيتألف من جدارين ضخمين مشيدان بالاجر تتخللهما ابراج للدفاع، وسمك الجدار الاول من الداخل هو ٥ر٦م، وسمك الجدار الثاني هو ٧٠ر٣متر، ويقسم السور الداخلي قصور المدينة الى قسمين، القصر الجنوبي ويقع داخل السور والقصر الشمالي ويسمى بالقصر الرئيس ويقع خارج السور الداخلي. لقد خططت المدينة الداخلية تخطيطا منتظما يتميز بالشوارع الواسعة التي تنتهي ببوابات المدينة الرئيسية، وفضلا عن ذلك فقد ذكرت في النصوص المسمارية اسماء ثمانية شوارع كبرى مع اسماء بواباتها، وقد سميت كل بوابة وكل شارع باسم الاله الذي يقع معبده بالقرب منها. والى جنب هذه الشوارع الرئيسية هناك مجموعة من الشوارع الاخرى التي يزيد عددها على العشرين شارعا، كما ذكرت لنا الكتابات المسمارية ثلاثة جسور كانت مقامة على نهر الفرات تربط ضفتي النهر داخل المدينة.

ومن اشهر بوابات وشوارع مدينة بابل هي بوابة الالهة عشتار وشارعها المعروف باسم شارع الموكب، الذي كانت تمر من خلاله في كل ربيع مواكب احتفالات اعياد رأس السنة البابلية، وكان هذا الشارع يخترق مدينة بابل من شمالها الى جنوبها حتى يصل الى ضفة نهر الفرات، وقد شيد عند ملتقى الشارع بالنهر جسر حجري اقيم على دعائم من الحجر، التي وجد بعض بقاياها. وعلى الجانب الاخر من النهر يقع بيت اكيتو المدينة، اي بيت الاحتفالات الربيعية .



منظر تخيلي لأحد أزقة مدينة بابل

بيت اكيتو مدينة بابل

من الامور المعروفة لدى الاثاريين عموما هو ان بيوت الاكيتو في المدن العراقية القديمة كانت تقام عادة خارج اسوار المدن وعلى الضفة الثانية من النهر، ولذلك عندما بدأ الالمان تنقيباتهم في مدينة بابل اختاروا المنطقة التي تقع على الجانب الثاني من نهر الفرات والمقابلة لنقطة اتصال شارع الموكب بنهر الفرات، حيث المكان الذي اقيم فيه الجسر الحجري، ولكن تنقيباتهم هناك لم تعثر على اي اثر لبيت اكيتو مدينة بابل، على الرغم من ان النصوص المسمارية مليئة بالاخبار عن احتفالات رأس السنة البابلية، ولكن نفس هذه الاخبار قد اعلمتنا بان احتفالات اعياد رأس السنة البابلية كانت تتعطل لسنوات عديدة قد تصل الى عشر سنوات بسبب الهجمات المتعددة التي كانت تعانيها مدينة بابل سواء من جانب القبائل الارامية، التي ينتسب اليها الكلديون أنفسهم او من الاشوريين او من الكلديين الذين استقروا في الاجزاء الجنوبية من العراق من قبل وصولهم الى الحكم. وهذه الهجمات التي بدأت منذ حوالي ١٢٠٠ ق.م وحتى تأسيس الدولة الكلدية عام ٦٢٦ ق.م قد تسببت في تعطيل احتفالات الاكيتو لمرات عديدة ولسنين طويلة. ومادامت احتفالات اعياد الاكيتو كانت تهدف في الاصل الى زيادة الوفرة في الانتاج الزراعي والحيواني فان تعطلها يعتبر شارة سيئة للبلاد، ولذلك اخذ ملوك سلالة بابل الرابعة ١١٥٧ - ١٠٢٦ ق.م وما تلاها من سلالات يقيمون احتفالات الاكيتو في فترات الحصار داخل أسوار المدينة وليس خارجها، ومادامت الاحتفالات التي كانت تقام داخل اسوار المدن تعتبر من الاحتفالات المؤقتة وليس الدائمية لذلك

اقـامـوا الاحتفالات في بناء بسيط من اللبن كما كان الحال في الالف الثالث قبل الميلاد، لان بيوت الاكيتو السومرية جميعا لم نعثر لها على اثر، لانها كانت عبارة عن ابنية لبنية بسيطة.

والمكان الذي كانت تقام فيه احتفالات الاكيتو داخل اسوار مدينة بابـل يتمثـل بالمنطقة التي يشغلها في الوقت الحاضر مايعرف بالمسرح البابلي، لان هذه المنطقة كانت خالية من الابنية وفسيحة ايضا. وبمرور الوقت تعود الناس على اقامة احتفالات اعياد الاكيتو داخل اسوار المدن واهملوا الابنية التي كانت مقـامـة خارج اسـوار المـدن والمخصصـة لاحتفـالات الايكيتـو، ومادامت هذه الاحتفالات تقام مرة واحدة في السنـة فلابـد وان كانت ابنيتها بسيطة ومشيدة باللبن، ومما يؤكد على بساطة ابنية بيوت الاكيتو هي رسائل الملك البابلي «امي صادوقا» ١٩٤٦ - ١٦٢٦ ق.م، الخليفة الرابع للملك حمورابي، حيث جاء فيها ان اغنام وماعز هذا الملك كانت تجز أصوافها في بيت اكيتو، فلو كان بيت اكيتو من الابنية الفخمة والانيقة لما تم جز اصواف الاغنام والماعز في داخلها.

واهمال ابنية من هذا النوع فترة تزيد على الخمسمائة عام يجعلها تتهدم ولم يبق لها على اثر، ولذلك لم تتمكن تنقيبات الالمان من ايجاد اي اثر يدل على بيت اكيتو مدينة بابل.

هذا ومما يزيد التأكيد على ان احتفالات الاكيتو كانت موجودة فعلا من قبل قيام الدولة الكلدية هو ان احد النصوص المسمارية الذي اعاد استنساخه الاشوريون يصف لنا احداث المسرحية التي كانت تمثل اثناء الاحتفالات والتي كان بطلها الاله مردوك، الاله الرئيس لمدينة بابل، وفيما يلي خلاصة لترجمة النص المذكور:ـ

«ينزل الاله مردوك الى جبل العالم السفلي فيحتجز هناك، وبعد ذلك يبدأ

احد رسل الالهة عشتار منادياً عمن يستطيع مساعدته واخراجه من جبل العالم السفلي، فيذهب الى الجبل ويصل حتى البيت الواقع على حافته، وهو البيت الذي استجوب فيه الاله مردوك عن سبب مجيئه الى العالم السفلي. والناس يقومون ايضا بالتفتيش عن الاله مردوك في المكان المحتجز فيه.

وفي هذه الاثناء تستنجد زوجته بالاله سين، اله القمر وبالاله شمش، اله الشمس من اجل اعادة الحياة اليه. والالهان المذكوران لم يتمكنا من عمل شيء لنجدة الاله مردوك ولذلك تذهب الى بوابة المكان الذي احتجز فيه وتقوم بالتفتيش عنه هناك. وفضلا عن ذلك فقد وضعت حراسا ليقوموا بمهمة حراسة الاله مردوك وهو محتجز في سجنه بعيدا عن الحياة وعن الشمس والضياء. يصاب الاله مردوك بجروح اثناء احتجازه في جبل العالم السفلي، وكان الدم ينزف منه، ولهذا تنزل الالهة زوجته، الالهة صربانيتوم، لتمكث معه من اجل مسح جروحه والعناية به.

لقد رافق الاله مردوك الى العالم السفلي رجلان، احدهما كان مستقيم والاخر مجرماً ولهذا لم يحتجز مع الاله مردوك سوى الرجل المجرم، والذي قطع رأسه هناك. اما الرجل المستقيم فقد عين حارسا. ورأس المجرم الذي قطع يعلق على رقبة زوجة الاله مردوك لفترة من الزمن، ثم يعاد الى مدينة بورسبا، المدينة التي ينتمي اليها صاحب الرأس المقطوع.

وعندما جاء الاله نابو من مدينة بورسبا لانقاذ والده الاله مردوك من العالم السفلي رأى وهو في طريقه جثة الرجل المجرم، الذي قطع رأسه، ورجاله ينوحون عليه. وبعد ذلك يأتي مناد ويصف لزوجة الاله مردوك كيفية تجريده من ملابسه اثناء اقتياده الى العالم السفلي، وتسلم ملابسه

الى سيدة مدينة الوركاء، الالهة عشتار، التي قامت بسحبه اليها، اي العالم السفلي، غير انها قد عاملته بالرفق والرحمة، واخذ يصف هنا المنادي ايضا كيف كان الاله مردوك يتوسل بالالهة ويقول: ان اعمالي كانت جيدة، ماهو ذنبي؟ ثم طلب من الاله سين والاله شمش اعادته الى الحياة.

وفي هذه الاثناء كان الناس يصلون من اجل خروجه من باطن الجبل ويتوسلون ايضا بالرجل الذي عين عليه حارسا لان يخرجه من جبل العالم السفلي، وبعد ذلك يأتي الاله نابو من مدينة بورسبا ويتمكن من تحرير والده من جبل العالم السفلي، وتبدأ بعد ذلك احتفالات رأس السنة ابتهاجا بخروج الاله مردوك من جبل العالم المذكور».

ان تفاصيل النص اعلاه تذكرنا بالملحمة السومرية المعروفة باسم نزول الالهة اينانا الى العالم السفلي، حيث ان الالهة المذكورة قد قررت النزول الى العالم المذكور من اجل السيطرة عليه وانقاذ البشرية من الموت، ولكنها تحتجز هناك ولم تخرج منه الا بمساعدة الاله اينكي، اله الماء والارض والحكمة وبأرسال زوجها الاله تموز بديلا عنها الى العالم السفلي.

وهذه الملحمة لم تكن للقراءة فقط بل كانت للتمثيل ايضا وكانت تمثل في احتفالات اعياد الاكيتو، اي بمعنى انها كانت مسرحية للتمثيل. ومما يؤكد ان التمثيل كان معروفا في العراق القديم منذ الالف الثالث قبل الميلاد هو ان النصوص المسمارية قد ذكرت لنا الممثلين والممثلات، حيث ان كلمة ممثل في اللغة البابلية تلفظ «موميلو» والصيغة المؤنثة تلفظ «موميلتو»، وكلا الصيغتين مشتقتان من المصدر البابلي «ميلولو» الذي يعني «يلعب» والمسرح الاوربي المتأثر بالمسرح الاغريقي يستخدم ايضا الفعل «يلعب ـ (PLAY) للتعبير عن عملية التمثيل، وان

دلت هذه الحقيقة على شيء فانها تدل على تأثر المسرح الاغريقي ومن بعده المسرح الاوربي بالمصطلحات المسرحية البابلية. واذا أراد القاريء ان يتصور الكيفية التي كان يتمثل بها البابليون ومن قبلهم السومريون الاحداث التي كانت تجري داخل العالم السفلي، عليه أن يعيد قراءة مسرحية نزول الاله مردوك الى العالم السفلي، حيث ان هذه المسرحية قد وضحت بجلاء تام ان الاحداث التي كانت تجري داخل العالم السفلي كانت لاتعرض تمثيلاً بل ان المنادي،

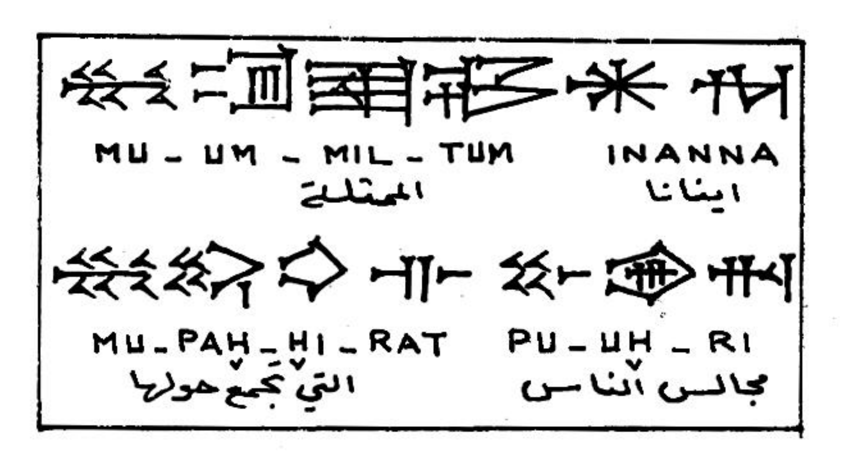
اي الكورس هو الذي كان يصفها للمشاهدين، اما بقية الاحداث فقد كانت تمثل من قبل ممثلين وممثلات. والمسرح اليوناني قد استخدم الراوية، اي المنادي، لوصف الاحداث التي لا يمكن تمثيلها كالاحداث التي تجري على سبيل المثال داخل العالم السفلي. ومما يزيد التأكيد على ان مسرحية نزول الالهة اينانا الى العالم السفلي كانت تمثل هو النص المسماري الاتي:-

حيث ان هذا النص يؤكد ان ممثلة كانت تقوم بدور الالهة اينانا اثناء نزولها الى العالم السفلي.

مما تقدم يبدو الان واضحا ان مسرحية نزول الاله مردوك الى العالم السفلي كانت تمثل في زمن الملك نبوخذنصر في بناء مشيد من اللبن وموضعه نفس موضع المسرح البابلي، وعندما جاء السلوقيون الى حكم العراق من بعد وفاة الاسكندر المقدوني اقاموا على نفس المخطط البابلي بناء ضخماً يماثل ضخامة المسارح اليونانية انذاك، وذلك لكسب ود البابليين من خلال احترامهم لتقاليدهم الدينية والدنيوية.

وبناء على هذه الحقيقة يمكننا القول ان المسرح الموجود حاليا في بابل يمثل بيت اكيتو مدينة بابل، ويجعلنا نؤكد في الوقت نفسه بان بيوت

الاكيتو العراقية وما كان يجري فيها تعتبر الاساس الذي قام عليه المسرح والمسرحية منذ ظهورهما وحتى الوقت الحاضر.



الترجمة :- «الممثلة (التي تقوم بدور) الالهة اينانا والتي تجمع المجالس حولها (عند التمثيل).

متحف نبوخذنصر في بابل

عندما يدور الحديث عن اقدم متحف في التأريخ نجد بان المصادر الاوربية وغير الاوربية تذكر بان الملك بطليموس الاول، مؤسس سلالة البطالسة في مصر هو اول من فكر باقامة متحف، وان متحف مدينة الاسكندرية الذي انشأه الملك المذكور هو اقدم متحف في التاريخ على الرغم من ان الحقيقة هي ليست هكذا. والسبب في ذلك يعود الى عاملين الاول ان المؤرخين الاوربيين سواء بقصد او غير قصد يمجدون كثيرا كل ماله علاقة بتاريخهم القديم وبكل ماهو ذا اصل اوربي،

ولذلك عندما قرأوا عن متحف بطليموس الاول في الاسكندرية قد قالوا من دون تردد بان هذا المتحف هو اقدم متحف في التأريخ . وفيما يخص المؤرخين من غير الاوربيين والذين ذكروا بان متحف الاسكندرية هو اقدم متحف في التأريخ ، فأنهم ولاشك متأثرون بكتابات المؤرخين الاوربيين . والعامل الثاني فسببه هو عدم اطلاعهم على تاريخ العراق القديم الاطلاع الكافي ليعلموا بان ماقالوه هو ليس صحيحا ، لان المنقب الالماني «كولدفي» الذي نقب في قصر الملك نبوخذنصر الشمالي والمعروف ايضا باسم القصر الرئيس والذي سبق وان قلنا انه يقع خارج اسوار مدينة بابل الداخلية ، قد عثر في احدى قاعات هذا القصر الكبيرة على تمثال الاسد الشهير المعروف باسم اسد بابل وعلى مسلة تعود الى حاكم مدينة ماري المدعو «شمش ـ ريش ـ اوصر» كما وجد مسلة حثية ومجموعة من التماثيل المصنوعة من حجر الدايوريت .

ان وجود هذه الاثار التي تعود الى فترات زمنية اقدم من عهد الملك نبوخذنصر في تلك القاعة من القصر الشمالي قد دفع الباحث الاثاري الالماني المدعو «اونكر» الى الاعتقاد بان القاعة المذكورة كانت تمثل متحفا خاصا بعرض الاثار القديمة في زمنها بالنسبة الى فترة حكم الدولة الكلدية ، ويعتقد «اونكر» ان هذه المواد الاثرية التي احتواها متحف الملك نبوخذنصر كانت معروضة لزوار قصره فقط وليس لعامة الناس .

والحقيقة انه ليس مهما لمن كانت هذه الاثار القديمة معروضة ، ولكن المهم في الموضوع هو ان فكرة المتحف قد اوجدها الملك نبوخذنصر من قبل غيره من الملوك . ومن الادلة التاريخية التي تؤكد ان الملك نبوخذنصر ومن تلاه من ملوك الدولة الكلدية كانوا يجمعون الاثار ويعرضونها في مكان خاص ، اي في متحف هي اعمال اخر ملك من

ملوك الدولة الكلدية والمدعو نابونيد ٥٥٥ ـ ٥٣٩ ق . م ، حيث كان هذا الملك يأمر بالتنقيب في اسس بعض المعابد والابراج المدرجة (=الزقورات) يستخرج منها الالواح الطينية او الحجرية المكتوبة بالخط المسماري ، التي دفنها الملوك القدماء في اسس المعابد والزقورات ، وقد عاش بعض من هؤلاء الملوك قبل الملك نابونيد بما لايقل عن الفي سنة ، وبالتأكيد عرضها في مكان يليق بها .

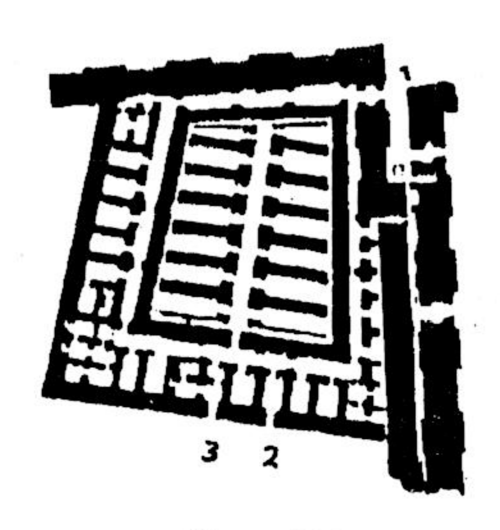
وهذه الحقائق الخاصة بالملك نبوخذنصر والملك نابونيد تدفع الى القول بان ملوك الدولة الكلدية قد امنوا بان ثقافة الانسان لاتكتمل الا بالتعرف على تاريخه القديم ، لان التاريخ القديم بالنسبة للشعوب هو كالذاكرة بالنسبة للانسان ، وهذا الايمان هو الذي دفعهم للاهتمام بالاثار القديمة وبالمكان الذي تعرض فيه ، ولهذا يمكننا الان القول ان فكرة تأسيس المتحف ، هي فكرة بابلية سبقت عهد بطليموس الاول بزمن يربو على الثلاثة قرون .

الجنائن المعلقة

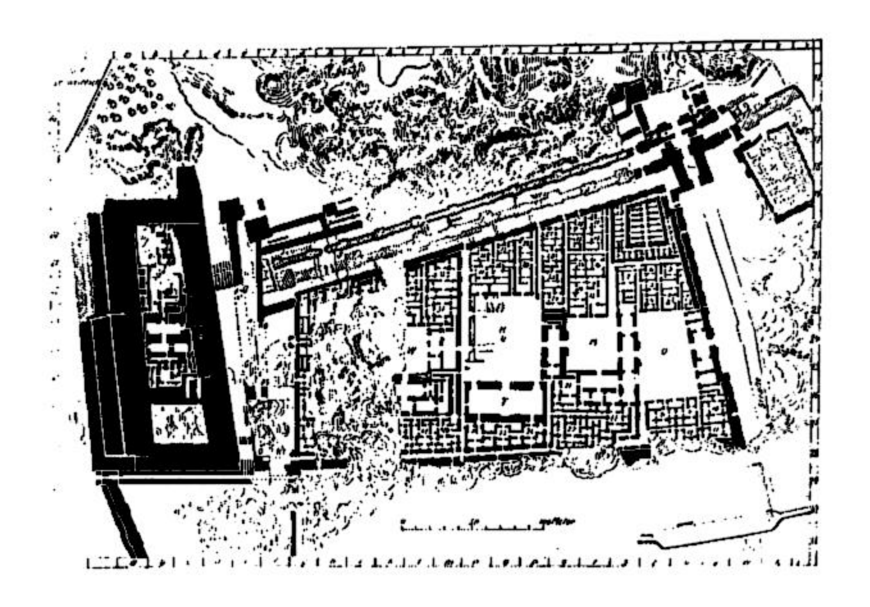
في الزاوية الشمالية الشرقية من القصر الجنوبي ، الذي سبق وان قلنا انه كان يمثل المركز السياسي والاداري والعسكري للدولة الكلدية ، عثر المنقب الالماني كولدفي على بناء يختلف في مخططه عن مخطط بقية اجزاء القصر ، وسقوف هذا البناء كانت على شكل اقبية ، ولذلك سمى كولدفي هذا البناء باسم «بيت الاقبية» ، واعلن عام ١٩١٣م بان هذا البناء يمثل بقايا الجنائن المعلقة . وبعد فترة طويلة نسبيا من اعلان كولدفي ، اخذ العديد من الاثاريين يتشككون في صحة هذا الموضوع .

ومع هذا التشكيك في رأي كولدفي الا ان معظم المهتمين بالموضوع قد استمروا معتقدين باحتواء مدينة بابل على الجنائن المعلقة، لان المؤرخين اليونانيين الكلاسيكيين الذين ذكروا الجنائن المعلقة قد اعتمدوا في كتاباتهم على كتابات كانت معاصرة للفترة التي كانت فيها الجنائن المعلقة لاتزال قائمة، حيث اشار كولدفي بان «ديودور» الذي عاش في زمن القيصرين يوليوس واغسطس قد اعتمد فيما كتبه عن الجنائن المعلقة على «كتاسيوس» الذي كان يعمل طبيباً في قصر كورش الثاني ٥٥٨ ـ ٥٣٠ ق.م كما ان «فلافيوس جوزيفوس» الذي ولد عام ٣٧ بعد الميلاد قد اعتمد في كتابته عن الجنائن المعلقة على الكاهن البابلي برخوشا (=بيروسوس)، اما سترابون، الذي اعتبر الجنائن المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع، فقد ولد عام ٦٠ ق.م واعتمد فيما كتبه على احد كتاب الاسكندر المقدوني. ولذلك فان كولدفي وبقية الباحثين الاثاريين وجدوا انفسهم امام معلومات عن الجنائن المعلقة صادرة عن كتاب ذوي مسؤولية ومعتمدين فيما كتبوا على مصادر يمكن ان نعتبر بعضها معاصرة تقريبا لفترة الجنائن المعلقة، واضافة الى ذلك ليس معقولا وليس من صالح هؤلاء الكتاب الكلاسيكيين كذلك ان ينسبوا لبلد غير بلدهم عجيبة من عجائب الدنيا مالم تكن هناك ادلة كافية على وجود تلك العجيبة حقا وحقيقة.

ولهذا السبب فان كولدفي وبقية الاثاريين الذين خالفوه في موضع الجنائن المعلقة كانوا على حق عندما اعتقدوا بضرورة وجود الجنائن المعلقة في مكان مامن مدينة بابل. ولكي نصل الى حقيقة الجنائن المعلقة والى حقيقة المكان الذي اقيمت عليه، علينا بيان وجهات النظر المختلفة بخصوص هذا الموضوع.



مخطط بيت الاقبية



مخطط القصر الجنوبي

ففيما يخص كولدفي فان السبب الذي دفعه لان يعتقد بان بيت الاقبية في القصر الجنوبي يمثل بقايا الجنائن المعلقة يعود ايضا الى الكتاب الكلاسيكيين، لأنهم قد اشاروا في كتاباتهم الى ان الجنائن المعلقة كانت مقامة فوق بناء مؤلف من عدة اقبية يتشابه في وصفه مع وصف بقايا بيت الاقبية.

وفيما يخص معارضة الاثاريين المعاصرين لرأي كولدفي فسببها يعود الى مخطط بيت الاقبية، لان تفاصيله لاتوحي على الاطلاق انها كانت لغرض اقامة الجنائن المعلقة فوقها، بل توحي ان كان لهذا البناء وظيفة خاصة به، وقد اتفقوا جميعا على ان بيت الاقبية ماهو الا المخازن الخاصة بالقصر الجنوبي.

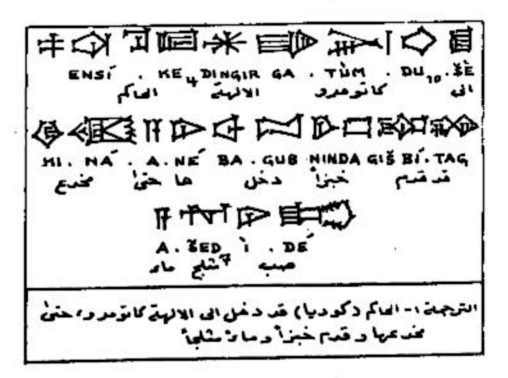
ومن اجل اثبات صحة اراء الطرفين على الرغم من تناقضهما علينا ان نبين اولا تفاصيل بيت الاقبية لكي نستطيع توضيح هذا الموضوع.

ان مخطط البيت المذكور يتألف من قسمين اساسيين، الاول هو مركز البناية، الذي يتألف من ممر طويل تتوزع على جانبيه مداخل تؤدي الى سبع غرف طولية على كل جانب ومساحته تبلغ ٢٨ × ٢٨م. ومن خلال موضعه وصيانته يبدو انه كان خاليا من اية فتحة للضياء والهواء. والقسم الثاني يتألف من ممر يحيط بمركز البناية وعدد من الغرف المختلفة المساحات والاشكال. علما ان مساحة بيت الاقبية الكلية هي ٤١ × ٤٠م.

يبدو من هذا المخطط الذي تم وصفه ان المعمار الذي صممه قد حاول ان يوفر العزل الحراري الكافي لمركز البناية وذلك من خلال الممر والغرف المحيطة بالمركز لكي لايتأثر هذا المركز الخارجي المحيط ببيت الاقبية، وحاول كذلك ان يجعله مظلما غير متأثر لابالضوء ولابالهواء، وفضلا عن ذلك فان ارضية بيت الاقبية دون غيرها من ارضيات مرافق

القصر الجنوبي كانت تحت مستوى ارضية القصر، بحيث ان سقوف الاقبية كانت بمستوى ارضية القصر تقريبا اي ان تصميمه لايختلف اطلاقا عن تصاميم السراديب، وذلك من اجل ان يكون البناء اكثر برودة من بقية اجزاء القصر. وان دلت هذه الاجراءات على شيء فانها تدل على ان تصميم بيت الاقبية يشابه الى حد كبير تصميم البراد (=الترمس).

وبناء على هذه المواصفات نعتقد ان الغرف الطولية في مركز البناية كانت لغرض خزن الثلج. والغرف المحيطة بالمركز كانت لغرض خزن المواد التي يحتاج خزنها الى جو بارد مثل الشراب والزيوت والفواكه، ولهذا نعتقد ان بيت الاقبية ماهو الا ثلاجة القصر الجنوبي العائد الى الملك نبوخذنصر الثاني، لان المعلومات المتوفرة تؤكد ان الملوك في العراق القديم كانوا يشربون صيفا الماء المثلج وكانوا ايضا يقدمون الماء البارد الى الالهة ضمن طقوسهم الدينية. واقدم اشارة وصلت الينا تؤكد ان الماء البارد كان يقدم الى الالهة، وردت في كتابات الحاكم السومري كوديا ٢١٤٤ ـ ٢١٢٤ ق. د. ثاني حكام سلالة لكش الثانية وهي الاتي:ـ



الترجمة :ـ الحاكم (كوديا) قد دخل الى الاهة كاتومدو، حتى مخدعها وقدم خبزاً وماءً مثلجاً

ـ والاشارة الثانية وردت في رسالة اشورية مبعوثة من اقباخمو حاكم تل الرماح (الاسم القديم كارانا) الى زوجته ايلتاني الساكنة في مدينة قطارا (جنوب تلعفر) جاء في مقدمتها ما يلي:

A_NA IL - TA_NI QÍ-BI-MA UM

ما قل ايلتاني الى

-MA AQ - BA - ḪA - AM - MU - MA ŠURIPA

ثلج اقباخمو يلي

ŠÁ QA-ṬA-RA_KI LIP_TU-MA ILU

الالهة د افتحي مدينة قطارا العائد

IL - TU AT_TI U BE_LA-AS

بيلاستونو د انت الالهة

SU - NU ŠI - TAT - TE U A-NA

الى د اشربو بانتظام

ŠU_RI_PI QA-TUM LU NA.AS-RAT

حاميك ليت اليد الثلج

الترجمة: «قل الى ايلتاني: مايلي اقباخمو (يقول) دعيهم يفتحون (مخزن) ثلج مدينة قطارا، الالهة، انت وبيلاسونو اشربوا بأنتظام وتأكدي من ان الثلج محروس جيداً».

هذا وقد تبين كتابة اخرى نشرها الباحث الفرنسي «نيكيرول» ان مخزن ثلج مدينة تيرقا (الاسم الحديث تل عشارا في سورية) قد شيده ملك مدينة ماري المدعو «زمري ليم» المعاصر الى الملك حمورابي». وفضلا عن ذلك فقد وردت في الرسالة السادسة من المجلد السادس الخاص برسائل ماري، اشارة على ان الثلج والشراب كانا يخزنان معاً في مدينة ماري. وهذه بالطبع اشارة صريحة الى وجود مخزن للثلج في مدينة ماري ايضا.

مما تقدم يبدو واضحا ان مدينة ماري وقطارا وتيرقا قد احتوت كل منها على مخزن للثلج، وهذه المدن قياسا الى مدينة بابل العظيمة تعتبر من المدن الصغيرة، ولذلك ليس معقولا على الاطلاق ان يشرب حكام هذه المدن الماء المثلج والملك نبوخذنصر الثاني، الذي ضم هذه المدن الى مملكته يشرب الماء الاعتيادي، ولهذا فان اعتبار بيت الاقبية على انه ثلاجة القصر الجنوبي ماهو الا امر طبيعي للغاية. وبناء على ذلك فان وظيفة «حامل الكأس» التي كانت احدى وظائف القصر الجنوبي للملك نبوخذنصر الثاني ماهي الا وظيفة الشخص الذي كان مسؤولا عن بيت الاقبية، ثلاجة القصر الجنوبي.

والان وبعد ان حددنا هوية بيت الاقبية علينا ان نبين ماهو مصير الجنائن المعلقة، فهل كانت فعلا فوق بيت الاقبية كما ذكر ذلك كولدفي، ام انها كانت في مكان اخر من مدينة بابل، كما اعتقد المؤرخ الكلاسيكي «كورتيوس روفوس» وقال انها كانت واقعة على النهر، وهذا مااعتقده الاثاريون المعاصرون ايضا. للجواب على ذلك نقول ان الجنائن المعلقة

كانت فوق بيت الاقبية، ثلاجة القصر الجنوبي، لاننا لونظرنا الى مركز البناية في بيت الاقبية فسوف نجد انها معزولة عزلا حراريا جيدا من جوانبها الاربعة ومن اسفلها كذلك، والذي يعوزنا لكي تصبح ثلاجة بمعنى الكلمة هو ان تعزل حراريا من ناحية السقف، ولذلك نعتقد ان المعمار الذي صمم بيت الاقبية قد وضع فوق السقف ثلاث طبقات ترابية مثلما هو موضح في الرسم المرفق وقام ايضا بزراعة الاشجار عليها لكي يعزل السقف حراريا ويمنع اشعة الشمس التي تسلط على السقف في موسم الحر من اذابة الثلج المخزون في مركز البناية.

والسبب الذي جعلنا نعتقد ان الجنائن المعلقة كانت من ثلاث طبقات وليس سبعاً يعود الى ان الرقم ثلاثة كان من الارقام المباركة في اعتقاد العراقيين
القدماء وان الرقم سبعة عندهم كان يدل على الجمع ولايعني بالضرورة العدد سبعة، والادلة على ذلك كثيرة. ومادام الرقم ثلاثة يدخل في مرحلة الجمع فالاحتمال موجود اذن ان يقال عن الجنائن المعلقة ذات الطبقات الثلاث انها متألفة من سبع طبقات. وخير شاهد على ان الرقم سبعة لايعني بالضرورة العدد سبعة وانما يعبر عن الجمع هي المعلقات السبع، بينما عددها الحقيقي هو عشر. وفضلا عن كل ماتقدم فان الاقبية التي كانت تتألف منها سقوف مرافق هذه الثلاجة تؤكد ايضا ان الجنائن المعلقة كانت فعلا الى الاعلى منها، لان السقوف المشيدة بطريقة العقادة لها القدرة على تحمل الاثقال الكثيرة.

مما تقدم يبدو واضحا اننا باعتبارنا بيت الاقبية ثلاجة القصر الجنوبي قد وفقنا بين رأي كولدفي ورأي خصومه الذين قالوا ان بيت الاقبية ماهو الا المخازن الخاصة بالقصر الجنوبي لان الثلاجة هي كذلك مخزن خاص بالثلج، وهي في الوقت نفسه تحتاج الى الجنائن المعلقة لعزل

سقف الثلاجة من حرارة الشمس.
وفيما يخص توفير المياه اللازمة لسقي الجنائن المعلقة فان البئر التي عثر عليها في بيت الاقبية كافية لتوفير الماء اللازم، لان الجنائن المعلقة لاتحتاج الى مياه كثيرة كما تحتاج الى ذلك الجنائن الاعتيادية، لان سطوح مرافق بيت الاقبية كانت مطلية بالقير، ولذلك لاتسمح للمياه التي تسقى بها الجنائن المعلقة بالنفوذ الى الاسفل كما يحدث ذلك مع الجنائن الاعتيادية، حيث ان معظم الماء الذي تسقى به ينفذ الى باطن الارض بينما مياه الجنائن المعلقة تختزن مابين الطبقة الترابية والسطوح المطلية بالقير، ولذلك فان استخدام الدلو لرفع الماء يكفي لسقي الجنائن المعلقة، لان مساحتها ليست كبيرة جدا مادامت ابعاد بيت الاقبية هي ٤٠ × ٤١م.

وفيما يخص عملية خزن الثلج في اقبية مركز البناية، فان التنقيبات التي اجراها كولدفي في بيت الاقبية قد كشفت له عن كتل من حجر الكلس، التي لم يتمكن من معرفة وظيفتها في حينه، لان بيت الاقبية مبني بالطابوق ولايحتوي على اي مرفق مشيد بالحجر، واضافة الى ذلك فان الاثاريين المعاصريين ايضا لم يتمكنوا معرفة وظيفة هذه الاحجار، التي يبلغ عرض الواحدة منها بقدر عرض مدخل القبو (= الغرفة الطولية)، وارتفاعها حوالي المتر الواحد، ولكن اعتبارنا لبيت الاقبية على انه ثلاجة القصر الجنوبي قد عين وظيفة هذه الاحجار، حيث عندما يبدأ خزن الثلج في الغرف الطولية يضعون الحجرة الاولى في مدخل الغرفة الطولية ويقومون برمي الثلج خلف الحجرة داخل الغرفة. وعندما يصل مستوى الثلج في الغرفة الطولية الى مستوى الحجرة الاولى يضعون حجرة ثانية فوق الاولى ومن ثم يستمرون بوضع الثلج خلف الحجرة الثانية حتى يصل مستوى الثلج داخل الغرفة الى مستوى الحجرة الثانية ثم

يضعون الحجرة الثالثة وهكذا حتى الوصول الى سقف الغرفة.

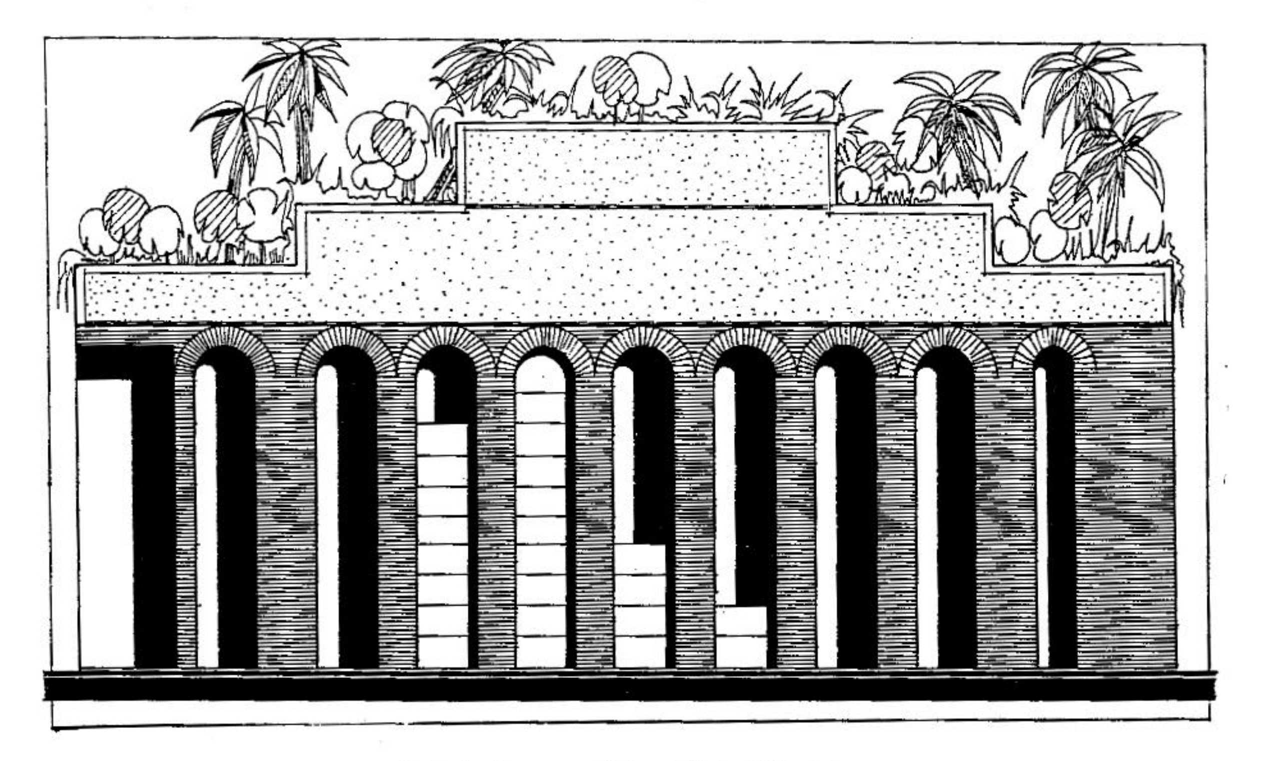
وعند استخراج الثلج في موسم الحر لغرض الاستعمال يسحبون من الاعلى الحجرة الاولى ثم يبدأون باخذ الثلج الذي خلفها، وعندما يهبط مستوى الثلج الى الحجرة التي تحتها يرفعون الحجرة التالية من الاعلى ويأخذون الثلج الذي خلفها وهكذا حتى يصلون الى ارضية الغرفة.

هذا وان مداخل بيت الاقبية تشير بحد ذاتها الى ان البيت المذكور هو ثلاجة القصر الجنوبي، حيث ان المدخل رقم (١) كان بالتأكيد لغرض دخول الحمير المحملة بالثلج والخروج منه بعد تفريغ الثلج في الغرف الطولية، والمدخلان رقم (٢) و(٣) هما لغرض استخدام سكان القصر للثلاجة.

هذا وقد يعتقد البعض ان عملية نقل الثلج من المنطقة الجبلية الى مدينة بابل كانت غير ممكنة، لان الثلج المنقول قد يذوب اثناء الطريق، ولكن الواقع الحقيقي يؤكد امكانية ذلك، لان الكثير من سكان بغداد قد رأوا بام اعينهم العديد من باعة الثلج، الذي يسمى بـ«الوفر» الذين كانوا يجلبونه من المنطقة الشمالية على الحمير وكانوا يبيعونه صيفا في مناطق مختلفة من مدينة بغداد.

ان باعة الثلج هؤلاء قد برهنوا على امكانية نقل الثلج (=الوفر) صيفا من المناطق الشمالية الى بغداد، فكيف لايكون ممكنا للبابليين نقله في موسم الشتاء، اي موسم سقوط الوفر.

وفضلا عما تقدم فان الكتابات العربية الاسلامية قد قدمت لنا ادلة اكيدة على وجود مخازن للثلج، حيث ان مدينة القاهرة في العصر المملوكي ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م وبالاخص زمن السلطان برقوق ١٣٨٢ ـ ١٣٨٩م، كانت تحتوي على مخزن للثلج وكان يعرف باسم «الشرابخانه» والمسؤول عنه كان يعرف بالثلاج.



مقطع عرضي لثلاجة القصر الجنوبي وجنائنها المعلقة

والثلج الذي كان يخزن في الشرابخانه كان يجلب عبر البحر الابيض المتوسط من جبال لبنان بواسطة السفن والحمير.

والان وبعد ان بينا هوية بيت الاقبية ووظيفة الجنائن المعلقة يمكننا ان لا نصدق على الاطلاق الخبر الذي ذكره «يوزبيوس» عن زواج الملك نبوخذنصر من الاميرة الميدية «اموهين» ابنة «اشدهاك» وذلك تعزيزا للوفاق البابلي الميدي. وان هذا الزواج كما تذكر بعض المصادر الكلاسيكية قد دفع الملك نبوخذنصر الى بناء الجنائن المعلقة من اجل جلب السرور الى زوجته التي نشأت في منطقة جبلية، لان الجنائن المعلقة لم تكن مرتفعة كثيرا عن سطح الارض مادام بيت الاقبية قد بني في باطن الارض مثل بناء السراديب. والسبب في اختلاق الكتاب الاغريق الكلاسيكيين لخبر زواج الملك نبوخذنصر من اميرة ميدية يعود بكل تأكيد الى محاولتهم لتبرير السبب الذي دفع الملك المذكور لبناء الجنائن المعلقة وللتعبير في الوقت نفسه عن التحالف الذي تم بين الميديين والكلدين، ولكنهم لو كانوا يعلمون فعلا حقيقة الجنائن المعلقة لما اضطروا الى ذلك.

برج بابل

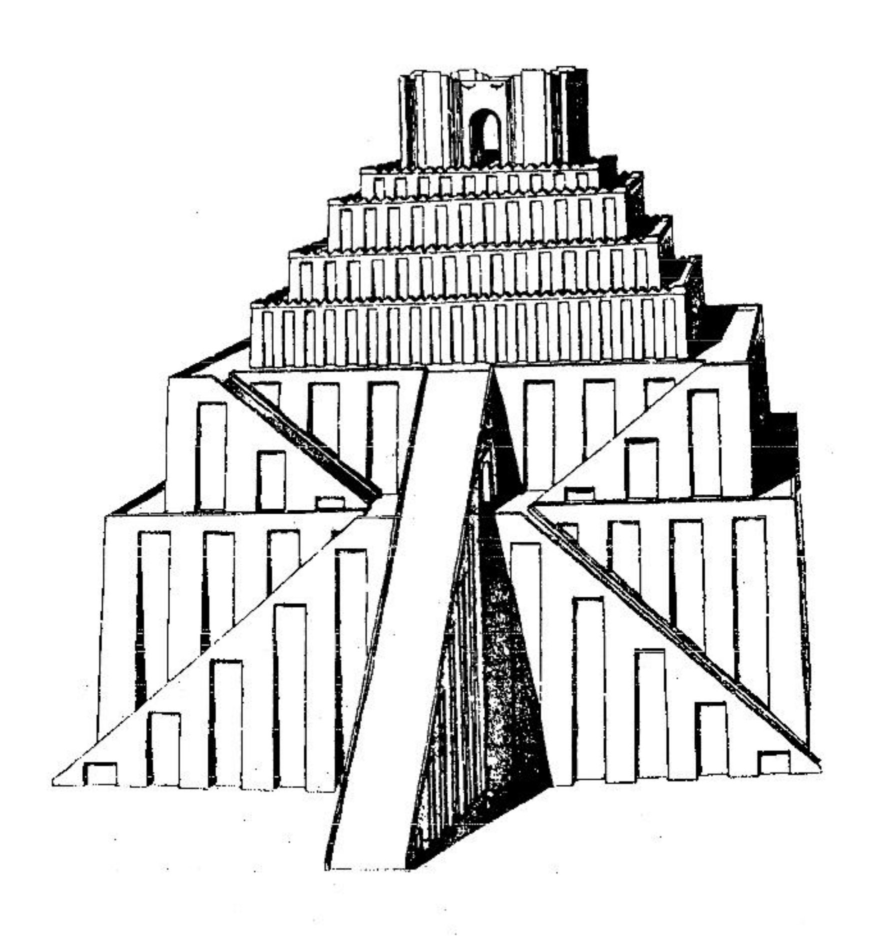
الى الجنوب من منطقة القصر الجنوبي، الذي احتوى على الجنائن المعلقة التي هي كما بينا ثلاجة القصر الجنوبي، تقع المنطقة المخصصة لبرج بابل الشهير، الذي سمي باللغة السومرية «اي ـ تمن ـ آي ـ كي» وعند ترجمة هذه المقاطع السومرية حرفيا يكون معنى الاسم «بيت اساس السماء والارض» وبالتأكيد المقصود بهذه التسمية هو «المعبد الذي اساسه السماء والارض» اي له اساس في السماء واساس اخر في الارض.

وفيما يخص الفترة التي بني فيها البرج فليس لدينا معلومات اكيدة ولكننا نستطيع ان نقول انه بني في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد. لاننا لم نعثر على اية اشارة تدل على وجوده قبل التأريخ المذكور، كما ان كتابات الملك الكلدي نابوبولاصر قد اكدت وجوده من قبل وصول الملك المذكور للحكم، وان البرج في زمنه قد بدأ بالتهدم، ولذلك حاول نابوبولاصر اعادة بنائه ولكن فترة حكمه لم تسمح له باكمال بنائه بل اوصله الى ارتفاع خمسة عشر مترا، في حين ان ارتفاعه الحقيقي هو تسعون مترا، ولكن الذي اعاد بناء البرج كاملا هو الملك نبوخذنصر.
ان تنقيبات الالمان في منطقة البرج قد اسفرت عن اظهار الاجزاء السفلى منه فقط، لان المعلومات المتوفرة تؤكد ان الملك الاخميني احشويرش الاول ٤٨٦ - ٤٦٥ ق.م قد دمر برج بابل تدميرا كاملا وان الاسكندر المقدوني قد حاول اعادة البرج ولكن موته المفاجيء قد حال دون ذلك.

ولهذه الاسباب اصبح موضوع الشكل الحقيقي للبرج موضوع جدل بين الباحثين.

والالمان منقبو مدينة بابل قد قدموا لنا نموذجا لبرج بابل، ويعتمد هذا النموذج على معلومات حصلوا عليها من رقيم طيني يعود بتاريخه الى عام ٢٢٩ ق.م، اي من الفترة السلوقية، وهذا مايؤكد ان الرقيم الطيني قد كتب في فترة لم يكن فيها لبرج بابل اي وجود، ولذلك لايمكننا ان نثق بمعلومات هذا الرقيم التي كتبت بعد حوالي ٢٥٠ سنة من زوال برج بابل.

ولبيان حقيقة برج بابل لابد لنا ان نحدد اولا القيم الدينية والجمالية التي آمن بها البابليون، حيث لابد للملك نبوخذنصر ان بنى برج بابل وفق هذه القيم، التي من ابرزها ايمانهم ببركة الرقم ثلاثة، وهذا ماسبق وان ذكرناه في حديثنا عن علاقة الجنائن المعلقة بثلاجة القصر الجنوبي.



نموذج برج بابل الذي قدمه الالمان، علماً ان طبقاته ست بينما الشائع انها كانت سبعاً

والسبب في هذا الايمان يرجع الى الفترة التي ظهرت فيها حاجة الانسان الى معرفة الاعداد، حيث ان الانسان قد عرف العدد واحد قبل غيره من بقية الاعداد من خلال ذاته، لان جسمه كاملا يمثل العدد واحد. وعرف العدد اثنين من خلال تناظر اعضاء جسمه، مثل اليدين والرجلين والعينين وغيرها، بدليل ان التثنية في اللغة العربية كانت في الاصل مقتصرة على اعضاء الجسم المتناظرة.

اما العدد ثلاثة فليس في جسم الانسان ثلاثة اعضاء متطابقة تماما تمكنه من التعرف على العدد المذكور، ولذلك فان العدد ثلاثة لايتكون امامه الامن اجتماع ثلاثة اشياء ولذلك اخذ العدد ثلاثة يرمز الى الجمع، وخير مثال على ذلك هي لغتنا العربية، حيث انها تحتوي على المفرد والمثنى فقط ومايزيد على الاثنين يعتبر جمعا. واعتمادا على قانون العلل المتشابهة تنتج عنها النتائج متشابهة، اي ان الخير لاينتج عنه الا الخير والشر لاينتج عنه الا الشر، فقد اخذ العدد ثلاثة يرمز الى البركة ما دام الجمع هو الكثرة، اي البركة، وبذلك تحول العدد ثلاثة منذ فترة مبكرة الى رمز للخير والبركة. وهذه الناحية قد فسحت الطريق للعدد المذكور لان يفرض نفسه على معظم النتاجات البشرية.

ففي مجال اللغة، فان الدراسات الخاصة بلغات اقوام الجزيرة العربية عموما وبضمنها طبعا اللغة العربية قد اكدت ان جذور الافعال في مراحل اللغة المبكرة كانت تتألف من حرفين لااكثر وبعد تحول الرقم ثلاثة الى رمز للبركة، اضيف اليها حرف ثالث واصبحت بذلك ثلاثية الحروف.

والحقيقة ان تأثير الرقم ثلاثة لم يقتصر على اللغة فقط بل امتد كذلك الى مجال البناء فتحولت نتيجة ذلك الابراج المدرجة (= الزقورات) ذات الطبقة الواحدة الى ثلاث طبقات دفعة واحدة.

واضافة الى مجال البناء فان الثلاثية رمز البركة قد امتد تأثيرها الى نواحي كثيرة جدا نختار من بينها مايلي :-

١- يتناول الانسان عادة في اليوم الواحد ثلاث وجبات طعام، في الوقت الذي يؤكد فيه الواقع ان الانسان يستطيع ان يزيد او يقلل هذه الوجبات الثلاث ولكنه فضل الوجبات الثلاث بسبب البركة التي يحتويها الرقم ثلاثة.

٢- الثالوث المقدس الموجود في ديانة مدينة الحضر (=مرن ومرتا وبرمرين).

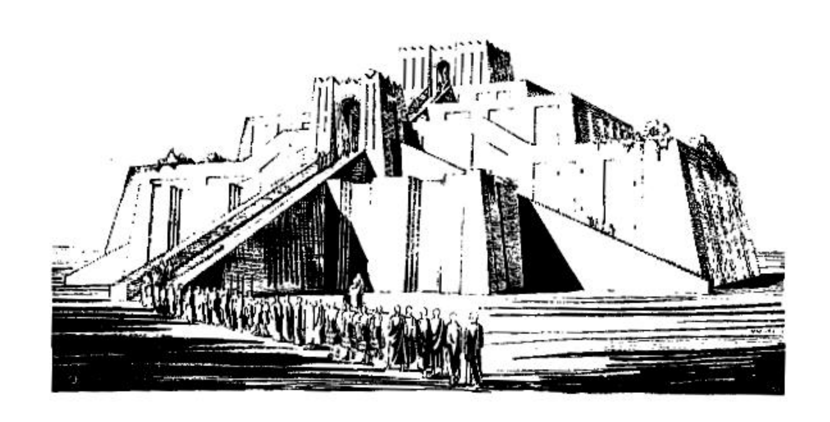
والثالوث المقدس في الديانة المسيحية (=الاب والابن وروح القدس).

٣- الزمن مقسم الى ثلاثة اجزاء رئيسية هي الماضي، الحاضر والمستقبل.

٤- تكرار عدد من الايات القرآنية والادعية اثناء الصلاة والوضوء ثلاث مرات.

٥- القائد في الجيوش العربية الاسلامية كان عليه ان يكبر ثلاث مرات من قبل ان يبدأ هجومه على الاعداء.

وبناء على ماتقدم فأننا نعتقد ان جميع الزقورات (= الابراج المدرجة) التي ظهرت في العراق من بعد زقورة مدينة اور كانت متألفة من ثلاث طبقات لااكثر، لان الابنية ذات الطابع الديني لايتغير شكلها او مخططها بسهولة، حتى لو اشارت النصوص المسمارية الى احتوائها على سبع طبقات، لان الادلة كافية كما ذكرنا على ان الرقم سبعة كان يقصد بذكره في معظم الاحوال الكثرة والجمع، والرقم (٣) كما سبق وان بينا يدخل ضمن مرحلة الجمع. ولكي يعلم القاريء لماذا كان الرقم سبعة يدل على الجمع دون غيره من بقية الارقام نقول ان الرقم ثلاثة في فترات قديمة جدا كان هو الذي يدل على الجمع ومن بعد تحوله الى رقم للبركة اصبحت حالة الجمع خالية لاشيء يدل عليها، ولكن الانسان القديم



زقورة مدينة اور

مثلما برزت حاجته الى معرفة الاعداد احتاج ايضا الى معرفة اجزاء الوقت، وبما ان الانسان لا يستطيع ان يميز من خلال الشمس بشكل دقيق سوى اليوم، لذلك التجأ الى القمر لكي يعرف من خلاله اجزاء الوقت، فعرف من خلال القمر الاسبوع كأكبر وحدة زمنية ثابتة من بعد اليوم، لان القمر منذ ان يطلع هلالاً وحتى يصبح نصف بدر يحتاج الى سبعة ايام وحتى يصبح بدرا يحتاج ايضا الى سبعة ايام اخرى. وبهذا يكون الانسان قد عرف الاسبوع من بعد اليوم كأكبر وحدة زمنية واضحة. اما الشهر القمري فلم يتخذه الاقدمون كوحدة زمنية ثابتة تلي الاسبوع في الكبر، لان الشهر القمري غير ثابت، حيث يكون مرة تسعة وعشرين يوما ومرة اخرى ثلاثين يوما واحيانا يكون ثمانية وعشرين يوما، ولذلك اكتفى الانسان بالاسبوع على انه اكبر وحدة زمنية ثابتة من بعد اليوم، ولهذا السبب استخدمه الاقدمون للدلالة على الكثرة وعلى الجمع.

والتغيير الوحيد الذي حدث مع الزقورات التي بنيث من بعد زقورة أور يتمثـل في ان قواعدها قد اصبحت مربعة بعد ان كانت قاعدة زقورة مدينة اور مستطيلة لان ابعادها هي ٦٢٫٥ × ٤٣م، بينما ابعاد زقورة عقرقوف هي ٦٩ × ٦٧م وابعاد زقورة مدينة بابل هي ٩٠ × ٩٠م. وهذا التغيير الـذي حصـل في قواعد الزقورات التالية لزقورة اور لم يحدث اعتباطا وانما سببه يرجع الى ان القاعدة المربعة للزقورة تسهل على المعمار لان يجعـل كل زاوية من زوايا الـزقورة باتجاه جهة من جهات العالم الاربع، بينما زقورة مدينة اور ذات القاعدة المستطيلة يصعب معها ان توجه كل زاوية من زواياها بشكل دقيق نحو جهات العالم الاربع.

هذا وقبل ان نعرض الاسلوب الذي توصلنا من خلاله الى معرفة الابعاد والارتفـاعـات الحقيقية للزقـورة علينا ان نشير الى ان معظم الباحثين الاثاريين قد اعتقدوا بان ارتفاع زقورة بابل كان مساويا لطول قاعدتها الارضية، اي انه يساوي ٩٠م. وهذا الاعتقاد من قبل الاثاريين هو الذي منحنا الثقة على ان الاسلوب الذي اتبعناه في معرفة ابعاد الطبقات الثلاث للزقورة كان صحيحا لانه قد اعتمد من جهة على نسب مثالية مستخدمة من قبل البابليين واعطى من الجهة الاخرى نتيجة متطابقة بين طول قاعدة الزقورة وارتفاعها. وهذه النسب المثالية التي اعتمدناها قد استخدمت في اللوح الرياضي من تل حرمل، الذي يحتوي على قضية هنـدسية لها علاقـة بتشابه المثلثات، حيث جعلوا ابعاد المثلث القائم الزاوية على الوجه الآتي:ـ الوتر= ٧٥ والقاعدة= ٦٠ والارتفاع= ٤٥، اي ان الفرق بين ضلع واخر هو فرق ثابت ويتمثل بالرقم (١٥) الذي يساوي ثلث الارتفاع.

قد يعترض البعض ويقول: لماذا نعتبر الابعاد ٧٥، ٦٠ و٤٥ هي نسب مثالية؟ ماهو الدليل على ذلك؟

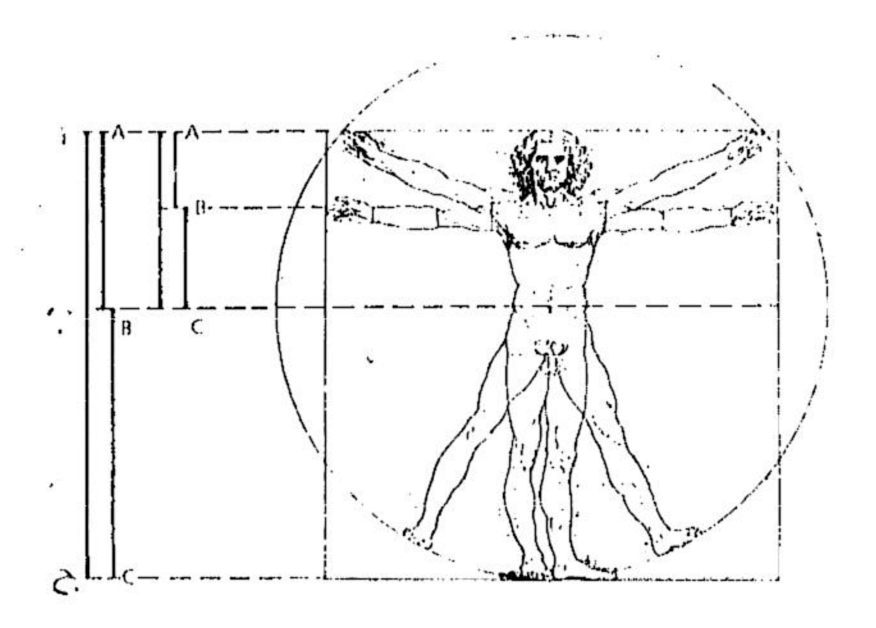
للجواب على هذا التساؤل نقول ان فيتاغورس قد اكد فيها كتب عن الـرياضيات ان الابعـاد ٣، ٤و٥ هي ابعـاد مثـالية، حيث اي مثلث يحتـوي على هذه الابعاد يكون بالضرورة مثلثا قائما للزاوية. واننا لو قسمنا ابعاد مثلث اللوح الرياضي من تل حرمل على ١٥ سوف نحصل على الابعاد ٣، ٤و٥، فهي اذن ابعاد مثالية لان الفرق بين ضلع واخر في مثلث فيتاغورس هو ايضا فرق ثابت ويساوي ثلث الارتفاع.

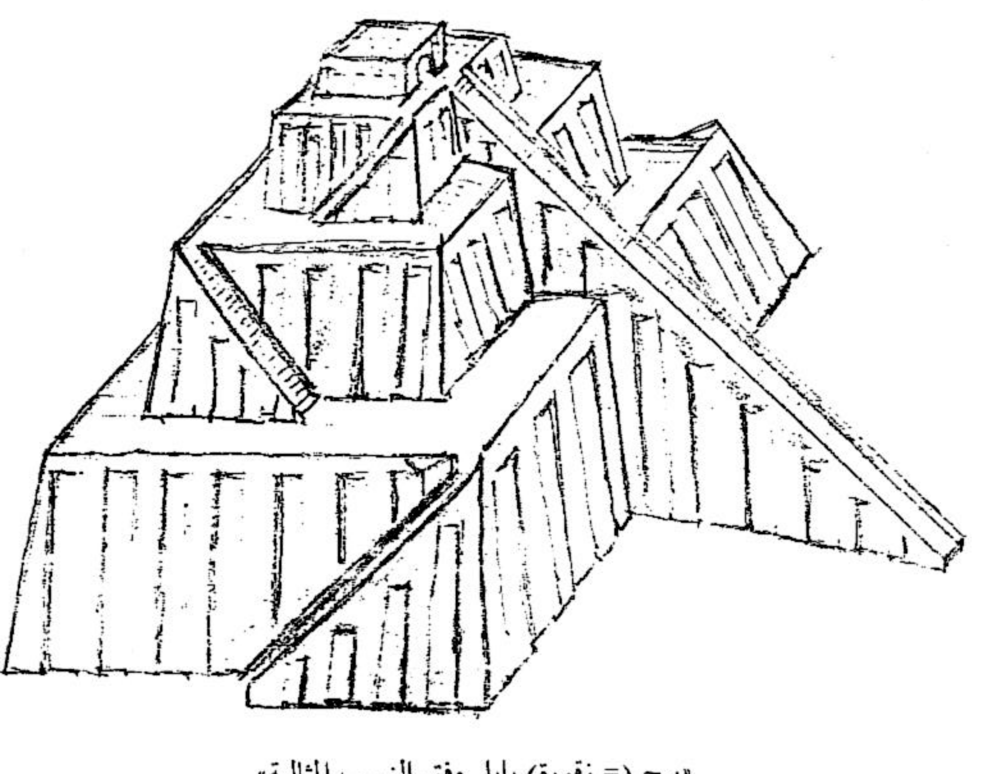
وهذه الحقيقة لاتثبت فقط بان ابعاد اللوح الرياضي من تل حرمل هي ابعاد مثالية، بل تثبت ايضا بان فيثاغورس قد اعتمد في ابعاده المثالية على اصول بابلية. فلو حاولنا ان نستخدم هذه النسب المثالية البابلية، اي ان الفرق بين طول قاعدة كل طبقة واخرى من طبقات زقورة بابل هو ثلث طول الـطبقـة الاولى والشيء نفسـه مع ارتفـاعات الطبقات الثلاث، فسوف تتولد لدينا زقورة مصممة وفق النسب المثالية، ولكن مانحتاجه لهذا الغرض ان نعرف اولا الارتفاع الحقيقي للطبقة الاولى. ولحسن الحظ ان بقايا زقورة عقرقوف قد ساعدتنا على التعرف على ارتفاع الطبقة الاولى لزقورة بابل، الذي يساوي نصف طولها، اي ٤٥م، لان ارتفاع الطبقة الاولى لزقورة عقرقوف هو ٣٣٫٥م، اي يساوي نصف طول قاعدتها البالغة ٦٧م. وبناء على هذه الحقيقة وعلى النسب المثالية البابلية يمكننا القول بان اطوال الطبقات الثلاث على التوالي هي ٩٠، ٦٠، ٣٠م والارتفاعات هي ٤٥م، ٣٠م و١٥م. وبذلك يكون ارتفاع زقـورة بابـل مطابقا تماما لطول قاعدتها الاولى وهذه الابعاد للطبقات الثـلاث لزقورة بابل قد كونت نسبا مطابقة تماما للنسب التي وضعها الفنان المعروف «ليوناردو دافنشي» والمعروفة باسم النسب الذهبية، حيث يعتقد الفنان المذكور ان الجسم المثالي للانسان هو عندما تكون قسمة

المسافة المحصورة مابين قمة رأس ذلك الانسان وسرته (على المسافة المحصورة مابين السرة والقدم) مساوية لقسمة المسافة المحصورة مابين السرة والقدم على طول الجسم كاملا، اي ان ا ب / ب ج = ب ج / ا ج .

والنتيجة نفسها تبرز من خلال قسمة كل طبقة من طبقات زقورة بابل على ارتفاعها، اي ان ٩٠ / ٤٥ = ٦٠ / ٣٠ = ٣٠ / ١٥

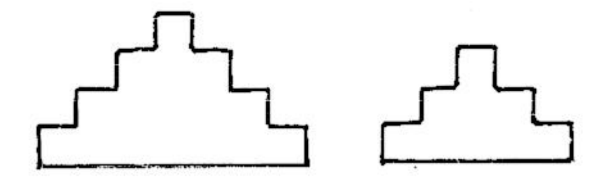
«النسب الذهبية ليوناردو دافنشي»



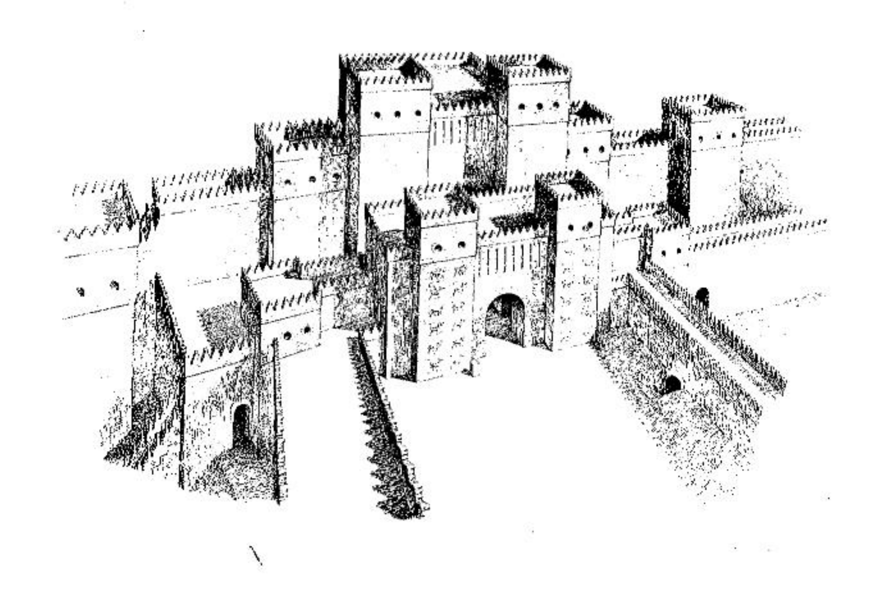


«برج (= زقورة) بابل وفق النسب المثالية»

وفي ختام موضوع برج بابل نقول: لم يحدث شيء على سطح هذه الكرة الارضيه وزال من عليها مالم يترك اثرا في مكان مايدل عليه، ولذلك لابد وان تحتوي مدينة بابل على بعض الاثار التي تدل على الشكل الاصلي لزقورتها وعند النظر الى العناصر الزخرفية التي تزين اعالي جدران المباني والقصور والمسرح البابلي وشارع الموكب، فسوف نجد ان شكل هذه العناصر الزخرفية في الجدران الواطية نسبياً يتطابق تماماً مع شكل زقورة بابل لوحدها. اما في الجدران العالية فشكل هذه العناصر الزخرفية يتماثل مع شكل الزقورة والمعبد المقام فوقها



شكل العناصر الزخرفية التي تزين اعلى الجدران في بابل



«شكـل تخـطيطي لبـوابـة عشتار ويشاهد في اعلى جدرانها الزخارف المستوحاة من شكل زقورة بابل»

ولذلك فان هذه العناصر الزخرفية لابد لها وان تكون مستوحاة من شكل الزقورة لوحدها او من شكل الزقورة والمعبد فوقها، وماعدا ذلك يصعب علينا ان نجد الاصل الذي استندت اليه هذه العناصر الزخرفية .

« خلفاء الملك نبوخذ نصر »

١ـ الملك «اميل ـ مردوك» :ـ

خلف الملك نبوخذ نصر على عرش بابل ابنه «اميل ـ مردوك» ولكن هذا الملك لم يحكم سوى مدة عامين ٥٦٢ ـ ٥٦٠ ق.م. والسبب في قلة سني حكم هذا الملك هي الاضطرابات التي عاشتها البلاد منذ السنوات الاخيرة من حكم الملك نبوخذ نصر، وهذه الاضطرابات ولاشك قد شغلت الملك اميل مردوك اثناء فترة حكمه، بحيث لم يتمكن من ان يخلف لنا من الانجازات الحضارية ماتدل عليه، ماعدا اشارة واحدة تدل على انه قد عامل اليهود الموجودين في بابل معاملة حسنة، بحيث انه اطلق سراح ملكهم المدعو «يهوياكين».

٢ـ الملك «نركال ـ شار ـ اوصر» :ـ

جاء من بعد موت الملك «اميل ـ مردوك» الى حكم الدولة الكلدية الملك «نركال ـ شار ـ اوصر»، الذي كان من كبار قواد الملك نبوخذ نصر وزوج ابنته وهذه الحقيقة تؤكد انه كان مقرباً جداً الى الملك نبوخذ نصر وكان في الوقت نفسه من اتباعه المخلصين جداً، حيث حتى معنى اسمه يدل على ولائه للملك نبوخذ نصر لانه يعني باللغة البابلية «يا اله نركال احمي الملك» والمقصود بالملك طبعاً نبوخذ نصر.

لقد كان هذا الملك غنياً يمتلك الكثير من العقار والاراضي الزراعية الواقعة حوالي مدينة بابل ومدينة اوبي (= اوبس). لقد عمل هذا الملك من قبل وصوله الى الحكم في المجال الاداري كمفتش حسابات في معبد مدينة سبار، وفي المجال العسكري، حيث ساهم في حصار مدينة اورشليم عام ٥٨٧ ق.م.

لقد حكم هذا الملك مدة اربع سنوات قضاها جميعاً في خدمة الاعمال السلمية، اي صيانة المعابد والقصور والسدود والقنوات، ومع ذلك فقد اضطر في السنة الاخيرة من حكمة ٥٥٧ / ٥٥٦ ق.م الى محاربة منطقة كيليكية في بلاد الانضول، فتقدم على رأس جيش نحو المنطقة المذكورة وتمكن من اختراق المنطقة المحصورة بين جبال طوروس وادنه، ومن ثم عبر جبال كيليكية حتى وصل الى حدود منطقة ليدية، ومن خلال تحريره لهذه المناطق استطاع الملك «نركال ـ شار ـ اوصر» من اعادة فتح الطريق التجاري الموصل مابين ليدية ومناطق الهلال الخصيب.

٣- الملك لباشي مردوك

وهو ابن الملك «نركال ـ شار ـ اوصر» ولكنه لم يتمكن من الحكم اكثر من ثلاثة اشهر فقط، حيث لاقى حتفه في عام ٥٥٦ ق.م في اثناء انقلاب داخلي. والسبب في ذلك يعود الى ارتباك الاوضاع الاقتصادية في بابل وزيادة اجور السلع، لان كورش الاخميني قد استلم الحكم في ايران عام ٥٥٨ ق. م، وسيطر بعدها على معظم الطرق التجارية للدولة الكلدية، وفضلاً عن ذلك اخذ يخطط ايضاً لاحتلال مدينة بابل، وقد مهد لمخططه هذا بتحريض اليهود الموجودين في بابل، فعملوا على زيادة الاسعار واربإك الحياة الاقتصادية للدولة الكلدية بحجة توقف تجارة الكلديين مع المنطقة الشرقية، لان اليهود الذين كانوا في مدينة بابل وفي المناطق التي حولها لم يسمح لهم بالاشتغال في الوظائف الرسمية، ولذلك تفرغوا للاعمال الزراعية والتجارية مما جعل لهم ذلك تأثيراً كبيراً على الحياة الاقتصادية.

وعلى ما يبدو ان الملك لباشي مردوك كان صغيراً في السن وماكان يعرف ما هو المطلوب عمله، فحدث نتيجة ذلك انقلاب داخلي ضده

فأودى هذا الانقلاب بحياة الملك لباشي مردوك.

٤- الملك نابونيد

من خلال المعلومات المتوفرة عن هذا الملك يبدو انه كان من كبار رجال الدولة في عهد الملك نبوخذ نصر، حيث كان قد بعث به عام ٥٨٥ق.م لتسوية النزاع ما بين الميديين وبين مملكة ليدية في اسيا الصغرى. وكان ابوه المدعو «نابو - بلاصّو - اقبي» احد النبلاء في مدينة حران، حيث وصفته النصوص المسمارية بالحاكم والامير، وامه المسماة «ادد - قوبّي» كانت الكاهنة العليا للأله سين في حران. وبعد سقوط مدينة حران نتيجة انهيار الدولة الاشورية انتقلت عائلة نابونيد من حران الى مدينة بابل.

ان هذه المكانة التي كان يتمتع بها نابونيد هي التي مكنته من تزعم الانقلاب الداخلي ضد الملك لباشي مردوك، ولهذا توج نابونيد ملكاً على بابل من بعد نجاح الانقلاب المذكور مباشرة.

لقد كان على هذا الملك من اول يوم تسلم فيه السلطة ان يجد الحلول الناجعة للمشاكل الاقتصادية التي كانت تعاني منها الدولة الكلدية نتيجة ظهور كورش وتحالف اليهود معه، فقام في سنته الاولى باعمار معبد الاله مردوك الذي اهملت صيانته نتيجة الحالة الاقتصادية

التي ذكرناها، وبعد ذلك توجه لتفقد احوال مدن القسم الجنوبي من العراق مثل اور ولارسا والوركاء ليقف بنفسه على طبيعة الاوضاع هناك.

وعلى مايبدو ان نتيجة هذه الزيارة هي التي اوصلته الى قراره الخاص بالحد من الحرية الاقتصادية التي منحها الملك نبوخذ نصر لمعبد «اي - انّا» في مدينة الوركاء، فوضعه تحت اشراف الدولة اكثر مما كان عليه، فعين فيه عام ٥٥٣ ق.م موظفين اثنين من رتبة عالية ليراقبا شؤون المعبد

الاقتصادية.

والناحية الثانية والمهمة التي قام بها الملك نابونيد وضع الخطط اللازمة لحماية الدولة الكلدية من اطماع كورش الثاني ٥٥٨ - ٥٣٠ق.م. ومن اهم محاولات الملك نابونيد بهذا المجال هو قيامه بتحرير مدينة حران من بقايا الميديين فيها ثم التوجه نحو توحيد القبائل الارامية التي ينتمي اليها في الاصل والمتواجدة على اطراف القسم الشمالي لنهر الفرات، تلك القبائل، التي كانت مدينة حران موطن الملك نابونيد، مركز تجمعها والاله سين، اله القمر كان معبودها.

وقد هدف الملك نابونيد من وراء ذلك هدفين، الاول هو حماية طرقه التجارية مع المنطقة الغربية، لكي يخفف بعض الشيء من المشاكل الاقتصادية وارتفاع الاسعار التي كانت تعاني منها الى حدٍ ما الدولة الكلدية وبالاخص مدينة بابل، والهدف الثاني هو خلق قوة كبيرة ليصد بها اطماع كورش في بابل.

ومما يؤكد هذه الناحية هو ان الملك نابونيد قد حاول كذلك توحيد جميع القبائل العربية، ولذلك اخبرتنا النصوص بمكوثه في مدينة تيماء في المملكة العربية السعودية مدة عشر سنوات بعد ان وضع ابنه «بيل - شار - اوصر» (= بياشاصر)، بدلاً عنه في بابل، وتمكن من خلالها كسب ود معظم القبائل العربية.

ومن الحقائق الاخرى المعروفة عن الملك نابونيد انه كان معجباً بالملوك الاشوريين، حيث اعتبر ملوك مدينة نينوى بالملوك الاجداد بالنسبة له. وهذه المحبة للأشوريين هي التي دفعت الملك نابونيد لان ينقب في اسس بعض المعابد والابراج المدرجة (= الزقورات) ليستخرج الالواح الطينية والحجرية التي دفنها الملوك الاشوريون في اسس المعابد

والزقورات . وعملية التنقيب هذه قد مكنته ايضاً من العثور على كتابات تعود لملوك عاشوا قبل الملك نابونيد بما لايقل عن الفي سنة .

وفضلاً عما تقدم فقد عمل الملك نابونيد على ادخال طقوس الاله سين ، اله القمر والمعبود الرئيس للقبائل العربية والارامية التي تحالف معها الى مدينة بابل ، لكي يوطد تحالفه معهم ، ولذلك بنى للاله سين معبدين الاول في مدينة حران والثاني في مدينة بابل . وهذا الاجراء من قبل الملك نابونيد جعله يمزج الى حدٍ ما السياسة مع الدين ، ولهذا تمكن يهود بابل استغلال هذه الناحية ، فصوروا لكهنة بابل بان هذا الاجراء ماهو الا انتقاص من مكانة الاله مردوك الاله الرئيس للبابليين ، مضافاً الى ذلك موقف كهنة مدينة الوركاء ، حيث كانوا ايضاً غاضبين على الملك نابونيد ، لانه قد قلص حرية معبد «اي ـ انّا» الاقتصادية ، بحيث مهدت هذه الامور وموقف اليهود الجو المناسب امام كورش الثاني لاحتلال مدينة بابل الشهيرة عام ٥٣٩ ق . م .

« مصادر الكتاب »

١ـ نبوخذ نصر الثاني ٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق.م، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للاثار والتراث، تأليف الاستاذة حياة ابراهيم محمد.

٢ـ الاستاذ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار البيان ـ بغداد، دار الثقافة بيروت، ١٩٧٣م.

٣ـ افاق عربية، السنة السادسة، العدد ٣و٤، تشرين الثاني ـ كانون الاول، عام ١٩٨٠م.

٤ـ افاق عربية، السنة الخامسة عشرة، العدد الثالث، اذار ١٩٩٠م ـ شعبان ١٤١٠هـ. (برج بابل).

٥ـ افاق عربية، السنة الخامسة عشرة، العدد الخامس، ايار ١٩٩٠م ـ شوال ١٤١٠هـ (الجنائن المعلقة ثلاجة القصر الجنوبي).

٦ـ راجحة خضر عباس النعيمي، الاعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين (رسالة ماجستير)، اذار ١٩٧٦.

٧ـ علم المتاحف، تأليف الدكتور تقي الدباغ والدكتور فوزي رشيد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ جامعة بغداد، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

8 - FISCHER WELTGESCHICHTE, 4, DIE ALTORIENTALISCHEN REICHE,1967

9- J.A. BRINKMAN, A POLITICAL HISTORY OF POST - KASSITE BABYLONIA 1158 - 722 B.C, ROMA, 1968

10- J.A. BRINKMAN, MESOPOTAMIAN CHRONOLOGY OF THE HISTORICAL PERIOD, CHICAGO AND LONDON, 1977

11- A.L. OPPENHEIM, ANCIENT MESOPOTAMIA, PORTRAIT OF A DEAD CIVILIZATION, CHICAGO, 1964.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (١١١٢) لسنة ١٩٩١



وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
قسم النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١١٢) لسنة ١٩٩١

السعر دينار واحد

